رحلة الإنسان

من عالم الذر حتى حياة البرزخ

بقلم

الدكتور محمد حسين علي الصغير

دار سلوني

مؤسسة البلاغ


رحلة الإنسان
من عالم الذر حتى حياة البرزخ

رحلة الإنسان

من عالم الذر حتى حياة البرزخ

بقلم

الدكتور محمد حسين علي الصغير

الأستاذ الأول في جامعة الكوفة / النجف الأشرف



مؤسسة البلاغ

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م





للطباعة والنشر والتوزيع

المكتب بئر العبد سنتر الإنماء ١ - ط٣ - المستودع : صفير - جانب فرن الأمراء
ص.ب : ١١-٧٩٥٢ - ٢٢٥٠-١١٠٧ بيروت - هاتف : ٠٣/٥١٤٩٠٥ - فاكس : ٠١/٥٥٣١١٩ لبنان
التوزيع في سوريا : دمشق - السيدة زينب (ع) - مكتبة دار الحسنين (ع) - هاتف : ٦٤٧٠٦٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

لم يزل الصراع قائماً بين النفس الإنسانية الشاعرة وعالم الغيب، ولم تزل الظلال الكثيفة تضطرب حيناً وتهدأ حيناً آخر في هذا المنظور، والصراع يشتدّ اطّراداً في حياة الأجيال، ويزداد تعقيداً متوارثاً جيلاً بعد جيل.

والإنسان بطبيعته يتطلع إلى ما وراء الغيب، يُرضي بذلك أحاسيسه ومشاعره، وينفّس فيه عن آلامه ومشكلاته، عسى أن يخرج بشيء يطمئن إليه، أو يصل إلى حصيلة تلبي حاجته العقلية.

ومن خلال هذا الصراع الموروث جاءت أطروحة هذا الكتاب، وهي تستقرئ المجهول في غمار حقيقة غيبية يتعسر استيعابها لدى الكثير من شبابنا المتحفز الناهض، ويتعثر في استيحاء عبرتها وظروفها جمع من الرساليين الأفذاذ، هذه الحقيقة الصارخة هي :

(رحلة الإنسان من عالم الذر حتى حياة البرزخ) .

إذن فهذه الرسالة تلمح ما وراء المنظور وتصوره وتشخصه لعالمين مهمين من أصول عقائدنا الإسلامية هما (عالم الذر وحياة البرزخ) في ضوء ما صدع به القرآن مجملاً تارةً، ومفصلاً تارةً أخرى، يضاف إليه الصورة في السّنة والأدب العربي.

وأحسب أن هذا الموضوع يكتسب جِدّةً في عرضه وأسلوبه، وجِدّةَ في آرائه ونظرياته، وجِدّةً في مقدماته ونتائجه، لا لبس فيه ولا غموض، ولا إيهام في مباحثه ولا إبهام، وضوح الرؤية، ومعاصرة البحث، وامتياز التخيّر من أوليات شرائحه في النظر والدقة والاستنباط .

وكانت طبيعة البحث أن انتظم في ستة فصول هي الآتي :

الفصل الأول: وعنوانه: ((البرزخ والذّر في استطراد قرآني منهجي))

تصدرته البحوث المكثفة الآتية:

١- البرزخ والذرّ بين اللغة والاصطلاح .

٢- القرآن في عرض موضوعي .

٣- القرآن والعلم التجريبي .

الفصل الثاني، وعنوانه: ((عالم الذّر وحياة الكائن البشري)) .

تصدرته البحوث الآتية :

١- الوجود الجمعي السابق .

٢- الخلق الأول .

٣- كيفية الإخراج والإشهاد الإنساني .

الفصل الثالث، وعنوانه: (مرحلة الإيجاد والتكوين الطبيعي والإعجازي).

تصدرته البحوث الآتية :

١-الإيجاد الثابت والمتحول .

٢- دحض نظرية الأستاذ دارون .

٣- التكامل المطلق في الخلق والسلوك الأمثل .

الفصل الرابع وعنوانه: ((مراحل التعليم الإنساني)) .

تصدرته البحوث الآتية :

١- تعليم آدم الأسماء .

٢- موارأة الإنسان .

٣- تعليم إدريس الكتابة .

٤- تعليم نوح النجارة .

٥- رفع القواعد من البيت .

٦- ذو القرنين وبناء السّد .

٧- داود وصناعة الدروع .

٨- سليمان وتسخير الجن .

٩- العلم اللدّني .

الفصل الخامس وعنوانه ((قصة الموت)).

وتصدرته البحوث الآتية :

١- الموت خَلْقٌ جديدٌ .

٢- الإمام علي (ع) يتحدث عن نوازل الموت .

٣- الموت في روائع الشعر العربي .

٤- وسائل الموت واختلاف حالاته .

٥- الموت الجماعي وعذاب الاستئصال : -

أ ـ الإحياء الإعجازي .

ب ـ الموت الطبيعي .

ج ـ الموت الجماعي .

د ـ نبأ الذين سبقوا .

الفصل السادس وعنوانه: (حياة البرزخ).

تصدرته البحوث الآتية :

١- البداية الأولى .

٢- من ظلمات الأرحام إلى ظلمات القبور .

٣- عوالم القبر البرزخية .

٤- الحَفَظَةُ والتعدد في الإماتة والإحياء .

٥- من مشاهد البرزخ والاستدلال عليه .

٦- حياة البرزخ في مجموعة من الأحكام .

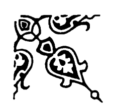
٧- البرزخ يطلّ على عالم الآخرة .

ثم جاءت قصيدة المؤلف في المبدأ والمعاد ، وخاتمة البحث .

وكانت مصادري في البحث : القرآن العظيم ، والسنة الشريفة ، وكتب التفسير وعلوم القرآن ، ومدونات الحديث والأدب والبلاغة والنقد الأدبي ، فإن وفقت إلى جلاء الصورة وإرفاد الحقيقة فهو بتوفيق من الله تعالى ، وإن كانت الأخرى فلي من أصالة الهدف وجلال الموضوع خير شفيع .

وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم ، عليه توكلت ، وإليه أنيب ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

النجف الأشرف **الدكتور محمد حسين علي الصغير**




(الفصل الأول)

(البرزخ والذّر في إِستطراد قرآني منهجي)

١- البرزخ والذّر بين اللغة والاصطلاح.
٢- القرآن في عرض موضوعي.
٣- القرآن والعلم التجريبي.




١ـ البرزخ والذر بين اللغة والاصطلاح:

البرزخ لغة ما بين كل شيئين وهو في الصحاح الحاجز بين الشيئين .[١]

والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ .

وفي حديث المبعث عن أبي سعيد : في برزخ ما بين الدنيا والآخرة ، قال : البرزخ ما بين كل شيئين من حاجز .

وقال الفرّاء : في قوله تعالى : ﴿**وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[٢] قال : البرزخ من يوم الموت إلى يوم البعث[٣] .

وهذا يعني أن الأصل الاصطلاحي للبرزخ منزّلٌ من الجذر اللغوي له ، فكان الحاجز بين الشيئين فصلاً لهما ، ليستقل كلُ منهما ذاتياً ، حتى ليمثل أحدهما كياناً خاصاً به ، فالحياة كيان مستقل ، والآخرة كيان مستقل ، وما بينهما كيان مستقل بذاته ، وهو البرزخ فاصلاً بين الموت والحياة في ظواهر سيأتي البحث عليها .

وفي حديث أمير المؤمنين الإمام علي (ع) أنه : صلى بقوم فأسوى برزخاً .

قال الكسائي : قوله فأسوى برزخاً ، أجفل وأسقط ، فأراد بالبرزخ ما بين

---

(١) ابن منظور / لسان العرب / ٣/ ٤٨٥ .

(٢) سورة المؤمنون / ١٠٠ .

(٣) ابن منظور / لسان العرب / ٣/ ٤٨٥ .

الموضع الذي أسقط علي(ع) منه ذلك الحرف إلى الموضع الذي إنتهى إليه من القرآن .

ومنه قيل للميت هو في برزخ، لأنه بين الدنيا والآخرة [1] .

وقد يراد بالبرزخ الحاجز مطلقاً، وقد يخصص بالحاجز من قدرة الله وحده كما في قوله تعالى : **﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾** [2] .

وقد يراد بالبرزخ المهلة، فكأن الميت في قبره على مهلةٍ من أمره حتى يبعثه الله يوم القيامة .

قال ابن منظور: والبرزخ والحاجز والمهلة متقاربات في المعنى[3] .

وقد أعطى الراغب الأصبهاني زخماً لغوياً واصطلاحياً للبرزخ فقال: البرزخ الحاجز والحد بين الشيئين، وقوله تعالى : **﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾** والبرزخ في القيامة الحائل بين الإنسان وبين بلوغه المنازل الرفيعة في الآخرة .

وقوله تعالى **﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾** [4] البرزخ ما بين الموت إلى القيامة [5] .

وعلى هذا فالبرزخ في هذه الأطروحة هو الحياة المجردة الروحية ما بين الموت حتى البعث من القبور يوم القيامة .

وأمّا الذّر في دلالته المركزية لغةً، فهو صغار النمل، واحده ذرّة، وقيل

---

(١) ابن منظور / لسان العرب / ٣/ ٤٨٥ .

(٢) سورة الرحمن / ١٩-٢ .

(٣) ابن منظور / لسان العرب ٣/ ٤٨٥ .

(٤) سورة المؤمنون / ١٠٠ .

(٥) الراغب / المفردات في غريب القرآن / ٤٣ .

الذرّة: ليس لها وزن، ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس من النافذة[1] .

وعلى هذا فاللفظ المفرد مشترك لغة بين النملة الصغيرة، وبين تلك الخيوط المتداخلة فيما يرى من شعاع الشمس وهو يخترق النوافذ . وذرّ الله الخلق في الأرض نشرهم، وهو وجودهم الفعلي المتواجد والمنتشر على سطح الكرة الأرضية .

قال أبو إسحاق النحوي: ومعنى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[2] أن الله أخرج الخلق من صلب آدم كالذّر حين أشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا بلى، شهدوا بذلك . .[3]

ويتضح مما سبق أن الذّر وعالمه، هو ذلك الوجود الجمعي للذرّية البشرية في العالم الذي سبق هذا الوجود القائم، وذلك الوجود هو عالم الذّر في الاصطلاح القرآني الشريف، وكما سيأتي الاستدلال عليه من خلال البحث في موضعه .

وعلى هذا، فعالم الذر هو عالم تلك الأرواح في وجودها وتجردها، وإقرارها بالشهادة لله، وعالم البرزخ هو تلك الحياة المجردة ابتداء من لحظات الموت وعند الاحتضار ومروراً بحياة القبر، وسؤال الملكين حتى عالم البعث والنشور يوم القيامة .

كل هذا من المظاهر التي تكشف عن ظهور أمر الله تعالى وحده في إدارة شؤون الحياة والموت والإيجاد والإحياء ظهوراً لا يبقى معه لغيره أي ظهور يذكر، وبذلك تسقط تأثيرات الأسباب الدنيوية، ويكون الملك لله الواحد

---

(١) ابن منظور / لسان العرب ٥/ ٣٩١ .

(٢) سورة الأعراف / ١٧٢ .

(٣) ابن منظور / لسان العرب ٥/ ٣٩١ .

القهار توحداً وانفراداً وإشاءة، لأن في مثل هذه العوالم الكائنة والمتوقعة، القائمة والمستقبلية تمثيلاً فعلياً لإرادة القهر والغلبة والعزة لله تعالى .



٣ـ القرآنُ في عَرضٍ موضوعيٍّ

نزل القرآن العظيم نزولاً تدريجياً في ثلاثة وعشرين عاماً، وكان أول ما نزل منه كآخر ما نزل ووسطه، وذلك من حيث القوة والمتانة والعرض والأسلوب والأصالة، لا تفاوت تأريخياً في مقاصده كافة، وهذا وحده دليل صدوره من جهة واحدة قديرة اتسمت بالكمال المطلق، إذ أن أي أثر فني يخضع في العادة لعوامل التطور فيما يبدعه الإنسان ويبتكره، فالأسلوب آخذ بالترقي والاسترسال مع طول المدة، والموضوعات تتبلور وتتجدد وتتكامل، والجودة تتحكم تحكماً ملحوظاً في اتصال العمل الفني زمنياً من حيث الولادة والنشأة والاستقرار النهائي، وهذا ما عليه أساليب جهابذة الفن القولي، إذ يفترق أول عطائهم الثقافي عن آخر اللمسات التركيبية في الإنتاج والتصنيف، فالأول يكون متسماً بالبداية القابلة للتطور الميداني، والأخير عادة ما يكون قد بلغ درجة النضج ومرحلة التكامل، بينما نجد القرآن الكريم هو هو في أوله وآخره، وشتى مراحله وأطواره. فليس له مرحلة نشوء ومرحلة ارتقاء، ولا فترة بداية وتكوين وفترة تكامل، وإنما جاء قطعةً فنيةً متلاحمة في الأداء والأسلوب والأفكار، ووحدةً موضوعيةً في الصيغ والفاعلية، فهو من القول في ذروته، ومن الفن البلاغي في قمته، ومن المحتوى الفكري في أعلى مراتب الوجود الحضاري، وإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك، فإن ما يصدره من شرائع وقوانين وأنظمة، وما يضمه

من سنن وأحكام وفروض ، وما يتحدث عنه من إعجاز وإبداع ، وما ينبئ به من سير وقصص وآثار ، يكون التسليم بها من الضروريات البديهية ، لأنه من عند الله وحده بالبرهان والوجدان ، قال تعالى **﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ﴾**[1] .

وبراءة القرآن من الاختلاف تعني سلامته من التضاد والتباين والتناقض ، ولما ثبت من إعجاز القرآن في وجوه الإعجاز جميعها ، سواءً أكان ما فيه متجاوزاً حدود الإدراك البشري ، أم كان معتمداً على المسموعات ، إذ ليس كل ما يجري في ساحة الكون المترامية قابلاً للاستدلال ، فمنه ما يقبل ذلك فوراً ، ومنه ما يرفضه لأنه سماعي لا يستند إلي دليل مادي ، إلا أن المسموعات الصرفة إذا أسندت إلى حقائق القرآن الكريم بل إلى ظواهر الكتاب العظيم فإنها لبسبيل رصين من الاستدلال على الصحة ، لكون ما ورد في القرآن ـ بعد ثبوت إعجازه ـ حجة لا تقبل الرد ـ ويقيناً لا يدانيه الشك باعتبار تنزيله وإنزاله من الله رب العالمين .

فعلى سبيل الحديث قال تعالى **﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾**[2] وفي تأكيد الإنزال قال تعالى **﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرآنَ تَنْزِيلاً ﴾**[3] وأراد إنزال الكتاب للقضاء بين الناس بالحق قال تعالى: **﴿ إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللهُ ﴾**[4] وفي بيان

---

(١) سورة النساء / ٨٢ .

(٢) سورة البقرة / ٢٣ .

(٣) سورة الإنسان / ٢٣ .

(٤) سورة النساء / ١٠٥ .

التدرج بالإنزال قال تعالى : **﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾** [1] وفي تفصيل ما اشتمل عليه القرآن من المحكم والمتشابه، قال تعالى : **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾** [2] وفي صفة هذا الكتاب المنزل قال تعالى : **﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾** [3] وفي بيان مهمة هذا الإنزال ، قال تعالى : **﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾** [4] إلى آيات كريمة أخرى تتحدث عن إنزال القرآن وتنزيله من قبل الله تعالى .

ويبقى اللغز المحير للعقول بقاء هذا القرآن سليماً من كل تحريف أو إضافة أو نقصان طيلة هذه القرون المتطاولة ، ولكن سرعان ما يجد اللغز طريقه إلى الحل العفوي حينما نستمع إلى قوله تعالى :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [5] .

فقد تعهد الله عز وجل بحفظه عن كل ما يدعو إلى التغيير والتبديل بتأكيدات خمسة لا مجال معها إلى القول بالتحريف إطلاقاً ، بينما حرفت التوراة والإنجيل لأنها استحفظت من قبل الأحبار والرهبان ليس غير .

وفي هذا الضوء فإذا تحدث القرآن بأطروحة ما ، فليس لنا حق الاعتراض عليها ، إلا أن لنا حق السؤال والاستنارة والإفادة منها ، لأن

---

(١) سورة الأسرار / ١١٦ .

(٢) سورة آل عمران / ٧ .

(٣) سورة الأنعام / ٩٢ .

(٤) سورة إبراهيم / ١ .

(٥) سورة الحجر / ٩ .

حديث القرآن هو حديث الله وحده، ولا ينبغي الادّهان بحديث الله .

قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ**﴾[1] وإذا ثبت هذا ، وهو من الثابت الذي لا يتحوّل ، فإن ما نطق به القرآن ثابت لا يتغير ، وواقع لا يتبدل ، وإذا ورد فيه ما لا تدركه العقول ، فهو لقصور فينا ، ولا تقصير فيه ، وعلينا أن ننتظر ذلك اليوم الذي تتجلى به حقائق القرآن ناصعة ، وقد لاحت تباشير شيء من ذلك بأضواء الكشف الكوني ، وأحداث الكائنات السماوية الضخمة ، وخصائص الشمس والقمر والكواكب والنجوم والأفلاك والمدارات المتعددة ، وإمدادات الطبيعية في الجغرافيا والفضاء و عالم السماء ، والانفجارات الكونية الملتهبة في كتلها الهائلة ، وهي تتلاشى كالرماد باصطدامها في الغلاف الجوي الحاجز عن نفوذها إلى الأرض ، حتى وإن انفجر منها شيء أو انفلق بتأثير جاذبية الأرض والعوامل الطبيعية الأخرى التي أبدعها الله في دساتير دقيقة ، فقد يقع في المحيطات والمجاهل الصحراوية ، فيحدث فجوات عميقة ودوياً عظيماً ، ويجنب الله بعنايته الإلهية البشرية والكون من المخاطر والكوارث وفق نظام عجيب في الإرداة والقدرة الشاملة .

إن ما ذكرناه يتساوق منطقياً وعملياً مع نظريات العلم الحديث ، ويتحدّ علمياً مع المعارف الإنسانية المتحضرة ، لا سيما في مجال الفلك والأحياء والهندسة والفيزياء وعوالم غزو الفضاء في حسابات رياضية ، وأبعاد تشمل الزمان والمكان بمساحات هائلة بحساب السنين الضوئية ، إلا أننا يجب أن لا

---

(١) سورة الواقعة / ٧٧-٨١ .

نربط القرآن ـ وهو صادر عن الله تعالى ـ بنظريات ودساتير علمية وصناعية قد تصدق حيناً ، وقد تكذب حيناً آخر ، لأنها جميعاً ليست من الثوابت المستقرة ، وما في القرآن العظيم هو الثابت غير المتحول ، وهو المستقر لا المتزلزل .

فإذا تحدث القرآن عن الغيب المجهول في عالم الذّر ، أو أنبأ عن الغيب المجهول في عالم البرزخ ، فعلينا بالتصديق المطلق ، لأن القرآن نفسه صادر عن الغيب ، ولكنه الغيب المعلوم عندنا ، وهو الله سبحانه وتعالى ، إذ يقول عز وجل : **﴿ألم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾** [1] .

وهذا بخلاف ما لو تحدث العلم التقني في مجالات تخصصه ، فإنه يصدر عن قوة تعليمية لا قوة غيبية ، وهذا ما سيؤكد عليه البحث الآتي بإذن الله .



---

(١) سورة البقرة / ١-٣ .

٣ـ القرآن والعلم التجريبي:

من خلال سبر آيات القرآن العظيم يتضح جلياً أن القرآن لا يعارض مسيرة العلم والاكتشاف، ولا يجانب الحياة الفيزياوية بل يدعو إليها طريقاً إلى الاضطلاع بمهمة الكشف الحضاري عن مكنونات الكون وكنوزه الثمينة التي أودعها الله عز وجل إبداعاً وقدرة وإيجاداً، بيد أن القرآن في الوقت نفسه ليس كتاباً في التكنولوجيا الحديثة، ولا هو بقاعدة لإطلاق الصواريخ والأقمار الصناعية، ولا هو بموسوعة في الطب البشري الذري والنووي والإشعاعي، وليس برنامجاً للعلم الطبيعي في الرياضيات والجبر والهندسة والحاسبات والإلكترونيات، من أبسط مصاردها حتى الإنترنيت، بل القرآن العظيم كتاب هداية وتشريع، ونظام دولة، وقانون سماء، وإن اشتمل على جزئيات كليّ العلوم .

لقد استطاع العلم التجريبي أن يغزو الكواكب ويهبط سطح القمر وسواه، وأن يجري تجاربه العلمية في جملة من الكائنات العلوية، واستطاع أن يتقدم خطوات عملاقة في الذرة والتحطيم الصناعي لأجزائها فيما يزعم، وتمكن من اكتشاف أبعد المجرات والمنظومة الفلكية التي تبعد عنا ملايين السنين الضوئية، وسوى هذا مما وهبه الله تعالى للإنسان، ومما أنبأنا بإمكان صيرورته وحدوثه وعدم استحالته كما في قوله تعالى : **﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**

فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطانٍ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ * يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ وَنُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ ﴾ [1] .

هذا العلم بما أوتي من قوة وإرادة محدودة وسلطان، استطاع أن ينفذ من أقطار السماوات والأرض، ولكنه لم يستطع خلق المتقين والمؤمنين والأبرار والقديسين، واستطاع القرآن العظيم ذلك لأنها مهمته الرسالية باعتباره كتاب هداية ورشاد وصلاح .

وناحية أخرى مهمة : أن الله تعالى أخبر بإمكانية غزو الفضاء، وتجاوز قانون الجاذبية، وخرق الحجاب الكوني الحاجز، وهذا ما حدث بالفعل بحدود معينة، لكنه أخبر بأن الجن والإنس لا يكتب لهما النصر في نهاية هذه المسيرة الكونية، ولا يقدر لهما الظفر التام، فهما يعقبان بشواظ من نار ونحاس، تعاكس مسيرتهما، وترجم روّادهما، فيعرقل ويصاب انتكاساً ما يقدر في زعمهم بأنه فوز فضائي حاسم، إذ ما يدرينا ما هو حجم تلك النيازك والشهب والمذنبات التي تعترض ذلك النفوذ، ثم ما يدرينا ما هو حجم تلك الشواظ وذلك النحاس المدمّر؟، إذن هذا الظفر الجزئي قد تحجم في نوعية قدرته ومسافتها، وهذا الانتصار الموفّق قد تعكر صفوه بالهزيمة، وهو ما حدث بعضه بالفعل، وذلك بحدود هذا النفوذ، ولو تطور لتطورت المعوقات الإلهية .

فالفوز هذا الذي أحرزه روّاد الفضاء في القرن العشرين محدود بالنتيجة، علماً بأن في القرآن حوالي سبعمائة آية كونية تدعو إلى التدبر والتفكر في خلق السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، ولكن هذا

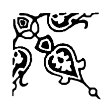
---

(١) سورة الرحمن / ٣٣-٣٥ .

الإنسان ما زال يجهل حقيقة ذاته، وتركيب أعضائه وخلاياه وأعصابه وجيناته، فكيف بالحقائق الأعظم خطراً، والأوسع أفقاً، والأرحب مساحة، كعالم الذّر وحياة البرزخ وشؤون الغيب.

ولنقف بعد هذا التمهيد الموضوعي على رحلة هذا الإنسان التي قطعها وسيقطعها في خضم ما أحاط به من عوالم مدركة ومتصورة، وظواهر معروفة ومجهولة، وحقائق واضحة وغامضة، بسيطة ومعقدة، قبل وجوده الحسي في الأرض، وبعد مسيرته وتمامها لدى الموت وتوسطه بين حياتين قبل يوم القيامة.

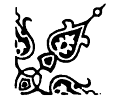





(الفصل الثاني)

(عالمُ الذرّ وحياةُ الكائنِ البشري)

١- الوجود الجمعي السابق.
٢- الخلق الأول.
٣- كيفية الإخراج والإشهاد الإنساني.




١ـ الوجود الجمعي السابق:

يبدو أن للإنسان وجوداً جمعياً يسبق هذا الوجود الدنيوي العام، ذلك الوجود هو ما اصطلح عليه بعالم الذر، والذي يتحدث عنه القرآن الحكيم بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ * وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

ومن هنا يبدو أن الكائن الإنساني من بني آدم، قد مر بعوالم وظروف مختلفة في الأحكام والتكليف، فالمعنى الذي تشير إليه الآيات الكريمة أن الله تعالى أخذ بربوبيته ووحدانيته، فانقطعت بذلك الحجة، وكانت الحجة لله عليهم، إذ شهد كل منهم على نفسه بأن الله تعالى هو ربه العظيم، وكان هذا الإشهاد إلزاماً لهم جميعاً فرداً فرداً، يمسكهم دون الادعاء يوم القيامة بأنهم في غفلة عن الربوبية في عالم الدنيا.

ومقتضى هذه الآيات أن للعالم الإنساني على ماله من السعة وجوداً جمعياً عند الله سبحانه، وهو الذي يلي جهته تعالى، ويفيضه على أفراده، لا يغيب فيها ببعضهم عن بعض، ولا يغيبون فيه عن ربهم، ولا هو يغيب

---

(١) سورة الأعراف/ ١٧٢-١٧٤ .

عنهم، وكيف يغيب فعل عن فاعله، وهذا هو الذي يسميه الله سبحانه بالملكوت: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[1].

وأما هذا الوجه الدنيوي الذي نشاهده نحن من العالم الإنساني وهو الذي يفرّق بين الآحاد، ويشتت الأحوال والأعمال بتوزيعها على قطعات الزمان، وتطبيقها على مر الليالي والأيام، ويحجب الإنسان عن ربه بصرف وجهه إلى المتع المادية واللذائذ الحسية في الحياة فهو متفرع على الوجه السابق، متأخر عنه. ويتبين بذلك أن هذه النشأة الإنسانية الدنيوية مسبوقة بنشأة إنسانية هي هي بعينها غير أن الآحاد موجودون فيها غير محجوبين عن ربهم، يشاهدون فيها وحدانيته تعالى في الربوبية بمشاهدة أنفسهم لا من طريق الاستدلال، بل لأنهم لا ينقطعون عنه، ولا يفقدونه، ويعترفون به وبكل حق من قبله، وأما الشرك والمعاصي فهما من أحكام هذه النشأة الدنيوية دون تلك النشأة التي ليس فيها إلا فعله تعالى القائم به[2].

والذي يدل على صحة هذا الملحوظ الدقيق ما روي عن أمير المؤمنين الإمام علي ﷺ، وقد سئل عن الله تعالى: هل كلم أحداً من ولد آدم قبل موسى، فقال ﷺ:

قد كلم الله جميع خلقه برهم وفاجرهم وردّ عليهم الجواب ... فقيل له: كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أو ما تقرأ كتاب الله إذ يقول لنبيّه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ فقد أسمعهم كلامه، وردّوا عليه الجواب

---

(١) سورة الأنعام/ ٧٥.

(٢) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن ٨/ ٣٢٠ وما بعدها بتصرف.

﴿قالُوا بَلى﴾ فقال لهم: إني أنا الله لا إله إلا أنا، وأنا الرحمن الرحيم، فأقرّوا له بالطاعة والربوبية، وميّز الرسل والأنبياء والأوصياء، وأمر الخلق بطاعتهم، فأقرّوا بذلك في الميثاق، فقالت الملائكة عند إقرارهم بذلك: شهدنا عليكم يا بني آدم أن تقولوا إنّا كنا عن هذا غافلين [١].

وفي الرواية دلالتان مهمتان:

الأولى: أن تكليم الله تعالى لعباده كان من سنخ تكليمه لموسى، وهو حدث من الأحداث الفعلية القائمة الواقعة، لا أن الآية تتحدث بلسان الحال.

الثانية: أن الميثاق قد أخذه الله على الربوبية والنبوة والإمامة من العباد لذكره ذلك، وأمر الخلق بإطاعة أولي الأمر منهم، فأقرّوا بذلك.

❀ ❀ ❀ ❀

(١) العياشي / التفسير / تفسير الآية.

٣ـ الخلق الأول

في الكافي عن زرارة بن أعين: أن رجلاً سأل أبا جعفر (الإمام الباقر) عن قول الله عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[1] فقال، وأبوه يسمع، حدثني أبي: أن الله عز وجل قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم فصب عليها الماء العذب الفرات، ثم تركها أربعين صباحاً، ثم صب عليها الماء المالح فتركها أربعين صباحاً، فلما اختمرت الطينة أخذها فعركها عركاً شديداً فخرجوا كالذر من يمينه وشماله، وأمرهم جميعاً أن يقعوا في النار، فدخلها أصحاب اليمين فصارت عليهم برداً وسلاماً، وأبى أصحاب النار أن يدخلوها.

وفيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عز وجل خلق الخلق، فخلق من أحب مما أحب، فكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة، وخلق من أبغض مما أبغض، فكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار، ثم بعثهم في الظلال، فقيل: وأي شيء الظلال؟ قال: ألم تر إلى ظلك في الشمس، شيء وليس بشيء. ثم بعث معهم النبيين فدعوهم إلى الإقرار بالله، وهو قوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[2]. ثم دعوهم إلى الإقرار، فأقر بعضهم وأنكر بعض، ثم دعوهم إلى ولايتنا فأقر بها من أحب، وأنكرها من

---

(١) سورة الأعراف / ١٧٢.

(٢) سورة الزخرف / ٨٧.

أبغض، وهو قوله : ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾[1] ثم قال أبو جعفر عليه السلام : كان التكذيب[2] .

والرواية الأولى تصف الخلق الأول للإنسان الأول وخروج الناس كالذر، وصدور الأوامر إليهم بالطاعة والإقرار، فمنهم من امتثل ومنهم من أبى، والحديث فيها عن عالم الذر لا شك في ذلك .

والرواية الثانية تتحدث عن الخلق الأول من طينتي الجنة والنار، ثم الإقرار أو الإنكار في عالم الذر، فمنهم من أقر ومنهم من أنكر، وهو تقريب لمعنى الآية بما يتناسب مع مشاعرنا وإدراكنا المحدود .

وفي تفسير العياشي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ في قوله تعالى ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قيل له : قالوا بألسنتهم؟ قال : نعم، وقالوا بقلوبهم، فقلت : وأين كانوا يومئذ؟ قال ﷺ صنع منهم ما اكتفى به .[3]

وقد عقب صاحب الميزان على الرواية بقوله : وجوابه ﷺ بلى بألسنتهم وقلوبهم، يعني على كون وجودهم يومئذ لو انتقلوا إلى الدنيا كان ذلك جواباً بلسان على النحو المعهود في الدنيا، لكن اللسان والقلب هناك واحد، ولذلك قال ﷺ : نعم وبقلوبهم، فصدق اللسان وأضاف إليه القلب[4] .

❀ ❀ ❀ ❀

(١) سورة يونس / ٧٤ .

(٢) الكليني / الكافي / أوردهما الطباطبائي / الميزان ٨/ ٣٢٥ .

(٣) العياشي / التفسير / تفسيره للآية .

(٤) الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ٨/ ٣٢٦ .

٣ـ كيفية الإخراج والإشهاد الإنساني

قال الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) : اختلف العلماء من العام والخاص في معنى هذه الآية، وفي هذا الإخراج والإشهاد على وجوه: أحدها: أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه كهيئة الذر، فعرضهم على آدم، وقال: إني آخذ على ذريتك ميثاقهم أن يعبدوني، ولا يشركوا بي شيئاً، وعليّ أرزاقهم وقيل: إن الله تعالى جعلهم فهماء عقلاء يسمعون خطابه ويفهمونه، ثم ردهم إلى صلب آدم، والناس محبوسون بأجمعهم حتى يخرج كل من أخرجه الله في ذلك الوقت، وكل من ثبت على الإسلام فقد ثبت على الإسلام فهو على الفطرة الأولى، ومن كفر وجحد فقد تغيّر عن الفطرة الأولى، عن جماعة من المفسدين...

ثانيها: أن المراد بالآية أن الله أخرج بني آدم من أصلاب آبائهم إلى أرحام أمهاتهم، ثم رقاهم درجة درجة، وعلقة ثم مضغة، ثم أنشأ كلاً بشراً سوياً، ثم حياً مكلفاً، وأراهم آثار صنعه، ومكّنهم من معرفة دلائله، حتى كأنه أشهدهم، وقال: ألست بربكم؟ فقالوا: بلى، هذا يكون أشهدهم على أنفسهم: دلّهم بخلقه على توحيده، وإنما أشهدهم على أنفسهم بذلك لما جعل في عقولهم من الأدلة الدالة على وحدانيته، وركب فيهم من عجائب خلقه وغرائب صنعه وفي غيرهم، فكأنه سبحانه بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم، فكانوا في مشاهدة ذلك وظهوره فيهم على الوجه الذي أراد الله،

وتعذر امتناعهم منه بمنزلة المعترف المقر ، وإن لم يكن هناك إشهاد صورة وحقيقة .

ثالثها : أنه تعالى إنما عنى بذلك جماعة من ذرية آدم خلقهم ، وأكمل عقولهم ، وقررهم على ألسن رسله (ع) بمعرفته ، وبما يجب من طاعته ، فأقروا بذلك ، وأشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل فقلدناهم في ذلك ، فنبه سبحانه أنه لا يعاقب من له عذر رحمة منه لخلقه وكرماً ، وهذا يكون في قوم خاص من بني آدم ، ولا يدخل جميعهم فيه ، لأن المؤمن لا يدخل فيه ، لأنه بيّن أن هؤلاء المأخوذ ميثاقهم كان لهم سلفٌ في الشرك ، ولأن ولد آدم لصلبه ، لم يؤخذوا من ظهور بني آدم ، فقد خرجوا من ذلك ، وهذا اختيار الجبائي والقاضي .[1]

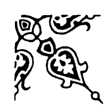
ومهما يكن من أمر . فإن ما أورده الطباطبائي في التفسير يتماشى ظهوره مع ظواهر الآيات الدالة على الوجود الجمعي للناس جميعاً كلاً لا بعضاً ، واستنزال اعترافهم وإقرارهم بالله تعالى بالإشهاد وعلى أنفسهم شهادة قاطعة لا شبهة معها .

هذا إجمال منهجي عن عالم الذر في الوجود الجمعي السابق للإنسان ، وفي الخلق الأول ، وفي كيفية الإخراج للذرية والإشهاد على أنفسهم ، وبانتهائه تبدأ رحلة الإنسان الكون في عالم الكون المشهود بالإيجاد الخلقي في الحياة الدنيا ، وهو ما يتحدث عنه الفصل الآتي .

❀ ❀ ❀ ❀

---

(١) ظ : الطبرسي / مجمع البيان




(الفصل الثالث)

(مرحلة الإيجاد والتكوين الطبيعي والإعجازي)

١- الإيجاد الثابت والمتحول.
٢- دحض نظرية الأستاذ دارون.
٣- التكامل المطلق في الخلق والسلوك الأمثل.




١ـ الإيجاد الثابت والمتحول:

وعالم الإيجاد مرتبط بالله البارئ الخالق المصور وحده، وهو على نوعين: ثابت ومتحول، فالثابت هو الحالة الطبيعية، والمتحول هو الحالة الإعجازية، وهذا لا يمانع أن يكون الثابت في أصل إيجاده إعجازياً، وجرت سنة الله أن يكون أمراً طبيعياً تابعاً لقانون السببية في العلة والمعلول، وأما الإيجاد الإعجازي فهو الذي يخالف هذه السنّة، ويخرق نواميس الكون .

وفي ضوء هذا الفهم، فإن الثابت هو الأصل الذي أبدعه الله تعالى ضمن سنة الحياة الاعتيادية في النظر العام .

والمتحول هو الصيغة الفريدة المغايرة لأنظمة المعادلات الكونية المتكافئة، فالأول طبيعي فطري بسيط يخضع للأسباب القائمة به، فيكون نتيجة لها، والثاني معلم خارق معقد يجابه دساتير الأحداث الرتيبة بأخرى إعجازية تخترق القانون الطبيعي العام، وتقدم نموذجاً جديداً لقدرة الله في الإبداع . [1]

وعلى هذا يكون خلق آدم من تراب هو الحالة الإعجازية في أصل الإيجاد دون الطريق الطبيعي ، قال تعالى : **﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ﴾** [2] ومثله خلق المسيح عيسى بن مريم ، قال تعالى :

---

(١) ظ : المؤلف / ملامح الإعجاز في القرآن العظيم / بحث / نظرات معاصرة في القرآن / ١٠ .

(٢) سورة ص / ٧١ .

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [1] أما الطريق الطبيعي الثابت فهو ما أودعه الله من أسرار في الإنسان وزوجية الكائنات الحية عن طريق التزاوج والتناسل، وهو ما يتحدث عنه القرآن إعجازاً وطبيعة، أي أصلاً وتفريعاً، فالإنسان ترابي الأصل منوّي التفريع في التكوين، وله تعالى وحده الحديث عن دقة هذا الصنع وعظيم ذلك الخلق، ولك أن تعجب من مساحة هذا المصنع التكويني الذي لا يتجاوز رحم المرأة في صغره، ليتولد منه هذا الإنسان في كل تركيباته المعقدة، وخصائصه المتميزة، قال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [2].

فالتراب إذن، هو الأصل التركيبي والإنشائي إعجازاً، والنطفة هي الفرع الفطري والطبيعي للتناسل.

أما العلقة، فهي القطعة من الدم الجامد.

وأما المضغة، فهي الكتلة من اللحم الممضوغة.

وأما المخلقة، فهي على ما قيل: التامة الخلقة.

وأمّا غير المخلقة، فهي غير تامة الخلقة.

وهذا التدرج في الأطوار وتتابع الأدوار مما ينطبق تماماً (على تصوير الجنين الملازم لنفخ الروح فيه، وعليه ينطبق القول بأن المراد بالتخليق هو التصوير). [3]

---

(١) سورة آل عمران / ٥٩.

(٢) سورة الحج / ٥.

(٣) الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ١٤/ ٣٤٤.

ويتوسع القرآن العظيم في بيان المراحل التكوينية للجنين حتى صيرورته خلقاً سوياً متكاملاً، قال تعالى: **﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾**[1] والتحليل الأدبي لمفردات الآية يوحي بأن الإنسان هو ولد آدم ﷺ، وهو اسم جنس يشمل الجميع، أن المراد بالسلالة: الماء يسل من الظهر سلاً من طين، أي من طين آدم، لأنها تولدت من طين خلق آدم منه، وقيل: أراد بالإنسان آدم (ع) وحده لأنه استل من أديم الأرض، والقرار المكين هو الرحم الذي هيأ لاستقرار النطفة فيه حتى بلوغ أمده في سلسلة التكوين والإبداع، وتقدم أن العلقة هي المضغة من الدم الجامد، وأن المضغة هي الكتلة من اللحم الممضوغة، وقد جعل الله تعالى تلك المضغة من اللحم عظاماً، ثم أنبت اللحم على العظام، ثم تحدث عن تقلبات الإنسان في الرحم حتى استكمال الخلق ونفخ الروح.[2]

فكان هذا المخلوق بعد هذه الأطوار خلقاً آخر متميزاً بالتكامل الجسدي والعقلي والحواس.



---

(١) سورة المؤمنون / ١٢-١٤.

(٢) ظ: الطبرسي / مجمع البيان ٤ / ١٠١ بتصرف.

٣ـ دحض نظرية الأستاذ دارون:

وفي هذه الآيات وسواها رد علمي على نظرية الأستاذ شارلس دارون في النشوء والارتقاء وهي ملحظ من ملاحظة نسف نظريته في التطور جملة وتفصيلاً، لأن الإنسان كما يتحدث عنه القرآن المجيد قد مر بهذه الأدوار الجنينية، وأنه خلق متطوراً في هذا الضوء وحده، لا في تقلب آخر من سلالات حيوانية حتى استقر على هذا الشكل، وذلك: أن نظرية التطور تتكأ على أن الكائنات الحية تتحول وتتطور تدريجياً عن كائنات بدائية يكتب لها التطور بعد ملايين السنين حتى تتكامل، وأهم ركيزة يستند إليها هذا المنطق الداروينى هو ما يقدمه علم المتحجرات من أدلة تثبت هذا التطور الأعضائي والتركيبي فيما يقال، لأن المتحجرات عبارة عن بقايا لكائنات بدائية قديمة قد احتفظت بها القشرة الأرضية منذ ملايين السنين، يضاف إلى هذا ما يقدمه اليوم (علم الأجنة) من تواجد للشبه الجنيني في فصائل جملة من الحيوانات، كما يستدل أحياناً بعلم التشريح المقارن لمجموعة معينة من الثدييات، لما تحتوي عليه من أعضاء يوشك أن تكون متماثلة خلقياً، ولكنها مختلفة وظيفياً.

ولا دليل في علم الوراثة على صحة ما يدعى، إذ أن التغيرات الموروثة قد تحدث وقد لا تحدث، والصفات غير الموروثة ثابتة عادة ولا تتطور.

إن ما قدّم من أدلة على إمكانية تطور الأشياء والكائنات من البدائية إلى

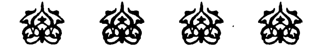
التركيب النهائي المعاصر لا يستوعبه عمر حياة الأرض بالكائن الإنساني، لأنه على فرضه، وفرض المحال ليس بمحال، يحتاج فيما يزعمون إلى ملايين السنين ليتكون ويتحقق، وما يدرينا أن ما تحقق كان نتيجة لنظرية التطور إذ قد يكون متطوراً أصلاً، يضاف إلى هذا استمرار عملية التطور لو صح ذلك، فمن القائل بوقوف التطور زمنياً عند فترة معينة لا يتعداها، فكما تطور الكائن الحي إلى هذا الشكل فعلاً، فقد يتطور مستقبلاً، وإذا أمكن ذلك فقد ينقلب إلى حقيقة أخرى، وهكذا . . وإذا حدث الإقرار بهذا المبدأ فإننا نلغي دور العقل والمنطق كما نلغي الحسّ التجريبي، إذ أن الكائنات جميعاً سوف تذوب في خضم عوالم جديدة وتتحول إلى حقائق متقدمة لا تمت إلى واقعها الإبداعي بصلة لا من قريب ولا من بعيد إلا تأريخياً.

إن هذا التهويل المصطنع يجرنا إلى القول بالمادة المجردة العمياء، التي تحققها الصدف فيما يزعمون، وهو رأي مرفوض عقلياً وتكوينياً، لأن المادة حادثة، وكل حادث مخلوق، فأصله عدمي والمعدوم لا يخلق، لأن الخالق للشيء هو محدثه، وهو الموجود الذي لا ينعدم، وكلاهما ـ الخالق والموجود ـ هي تلك الحقيقة المطلقة التي اتسمت بالوحدانية، وهي الله الذي لا إله إلا هو؟

وإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك، فالموجود أعلم بمن أوجد، لأنه الباريء لأطواره ونشوئه وارتقائه، وقد تحدثت الآيات القرآنية عن مراحل ونضائد وفرائد هذا النشوء ابتداءً من النطفة حتى خلق الإنسان سوياً في أحسن تقويم. وقد سبق لآيات سورة (المؤمنون) ١٢-١٤ أن كشفت عن القدرة الباهرة والمذهلة في تطويع السلالة الإنسانية حيث التدرج التكويني المنظم من البسيط إلى المركب، ومن الصعب إلى الأصعب .

إن المواد الأولية لتركيب الكائن البشري التراب والنطفة وتحول النطفة إلى علقة فمضغة فعظام فلحم ولدى تكاملها في الأدوار والإكساء ترتب على ذلك كله خلق آخر في الإنشاء، ذلك الخلق الآخر هو هذا الإنسان منذ وجوده الأول حتى اليوم وما بعده، فهو إذا شيء والمراحل التكوينية شيء آخر، فهو ليس من سنخ تلك المراحل بل هو امتداد لها، وإبداع حادث فيه القدرة والعلم والحياة والنطق والإدراك والإرادة، وهي ظواهر تختلف تماماً عن جنس المواد الأولية التي ركب منها، والتي تعود بطبيعتها إلى التربة الأرضية لاحتوائها على أغلب عناصرها [1].

وإذا كان الأمر هكذا، فقد بطلت نظرية الأستاذ دارون في أصل الأنواع من الأساس، فالخالق أعلم بما خلق منذ اللحظة الأولى، بدأ وتكوينا ونتيجة.



(١) ظ: المؤلف/ مسيرة الكائن الإنساني ورسالات السماء/ نظرات معاصرة في القرآن/ ١١٢.

٣ـ التكامل المطلق في الخلق والسلوك الأمثل :

ويشير القرآن العظيم إلى التكامل المطلق في الخلق الإنساني إذ كان مخلوقاً في أحسن تقويم ، فهو غير قابل أساساً للتطور بالخلقة بعد أن تمت في نموذج أرقى لا يتغير ولا يتحول منذ خلقه حتى قيام الساعة .

والذي يلفت النظر أن الآية القرآنية تقول : **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ﴾** [(١)] فبعد أن كان الإنسان ذا هيئة حسنة ، وصورة مشرقة ، وروعة نادرة ، حتى عاد مستوياً أيام شبابه ونضارته وترفه ، وإذا به يرد إلى عالم الهرم والشيخوخة ، ويرد مورد العجز والكبر وأرذل العمر ، فتسافل في خلقه من قوة إلى ضعف ، ومن نضارة إلى تقاطيع الوجه والجسم وتجاعيد الملامح ، ومن جمال الفتوة إلى تلاشي القوة ، وهذا ما يوحي لنا برصد فترات الإنسان بعد التكوين في التدرج بالكمال حتى الانهيار التام الذي يصل به إلى الموت ، وتلك مراحل عديدة اختص بها الأطباء في التشخيص ، ولكنها لا تخفى على سائر الطبقات الاجتماعية لظهورها بارزاً متجسداً ، وهي فترة الطفولة ، مرحلة الصبا ، سن المراهقة والبلوغ ، حياة الشباب حقبة الكهولة ، مظهر الشيخوخة ، أرذل العمر .

والإنسان قد يتقلب في هذه الأدوار كافة ، وقد يخترم عمره لدى اكتمال بعضها استقراءً ، وهذا الاستقراء وإن كان حقاً إلا أن القرآن الكريم الحكيم من خلال رصد أبعاده يريد منا أن نرتفع إلى المستوى الأسمى الذي حرص

---

(١) سورة التين / ٤-٥ .

على تبليغه بياناً إلهياً شمولياً ، فالإنسان قد خلق بإرادة الله ولطف عنايته خلقاً خاصاً ، وهو في رحلته هذه مع الحياة يعدّ نموذجاً راقياً للتقويم والثبات والكمال ، وهذا يقتضي له أن يتصاعد بروحه وتفكيره وتقديره إلى أعلى عليين ، وهو ما قدره الله تعالى لو تمثل الشكر لنعمه المتواترة ، اعتداداً بهذا العطاء الفيّاض جنساً وصورة ، وعلماً وإرادة ، وتفكيراً واختياراً ، وإبداعاً وفلسفة ، وهو بهذا كله حريّ أن يعرج بمستواه النفسي إلى حيث يصبح من أهل السعادة والنعيم السرمدي الخالد ، ولكن هذا الإنسان _ إلا القليل من جنسه _ قد انحط بنزعاته اللاإنسانية ، وإتجه بسلوكه المنحرف إلى سلخ معنى الإنسانية من نفسه ، فردّ إلى أسفل سافلين ، وهو نهاية ما يمكن أن يرد به الله إنساناً بانحطاطه إلى الدرجات السفلى المخصصة لأهل العذاب والشقاء والانهيار التام ، فكتب على نفسه الانحدار والانزلاق في الهوة السحيقة التي كان ينبغي أن يتفاداها .[١]

هذا الطرح الموضوعي لمعنى الآية هو ما يناسب الاستثناء المنقطع بعد الآيتين موضوع البحث فقال تعالى : **﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾**[٢] بدليل أن حكم الخلق التركيبي للإنسان في فتراته كافة ، يستوي فيه المؤمن والكافر ، الموحد الملحد ، الصادق والمنافق ، بدليل قوله تعالى **﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾**[٣] فكل معمر من الناس ينتكس في الخلق سواءً أكان مؤمنًا أم سواه فالاستثناء إذن للذين آمنوا في الآية ليس استثناء للانتكاس الخلقي لأنه

---

(١) ظ : المؤلف / البعد العالمي في القرآن / بحث / نظرات معاصرة في القرآن / ٣١ .

(٢) سورة التين / ٦ .

(٣) سورة ياسين / ٦٨ .

واقع بعد تقدم العمر، ولكنه استثناء للانتكاس الإنساني والأخلاقي، فلا يرد المؤمن أسفل سافلين وبدأت رحلة الإنسان في الكون بعد هذه المرحلة التكوينية مروراً بالمرحلة الإرشادية في بعث الرسل والأنبياء، وإرساء النظم والقوانين، واستيعاب كل مشكلاته وأوجاعه ومظاهر حياته .

والحق أن القرآن يستقطب الحديث عن كل مجريات حياة الإنسان، وحقوقه وواجباته، وأدواره وأطواره، وحيثياته وجزئياته، وأمور معاشه واقتصاده، وموارده ومصادره، وأحكام ولادته ونشأته وأولاده، ومراصد تعلمه وملكاته، وحياة نظمه وتشريعاته، وظواهر تحرره وانعتاقه، وقضاياه في الأحوال الشخصية زواجاً وملكاً وميراثاً، وغير هذا مما يعتبر ظاهرة شائعة في القرآن، فالإنسان أريد به إعمار الأرض واستثمارها، وأريد منه العبادة المطلقة العاقلة، وأريد فيه السير الحثيث نحو الحياة الباقية **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾**[1] قال الطباطبائي تعقيباً على الآية: وعد العمل الصالح، أو الإنسان المحسن غاية للخلقة، لا ينافي اشتمال الخلقة على غايات أخرى، بعدما كان الإنسان أحد تلك العنايات حقيقة، لأن الوحدة والاتصال الحاكم على العالم يصحح كون كل واحد من أنواع الموجودات غاية للخلقة بما أنه محصول الارتباط ونتيجة الازدواج العام بين أجزائه، فمن الجائز أن يخاطب كل نوع من انواع الخليقة أن المطلوب المقصود من خلق السماوات والأرض بما أنها تؤدي إليه .

على أن الإنسان أكمل وأتقن المخلوقات الجسمانية من السماوات والأرض وما فيهما صنعاً، ولئن نمي في جانب العلم والعمل نماءً حسناً،

---

(١) سورة الذاريات/ ٥٦ .

كان أفضل ذاتاً مما سواه، وأرفع مقاماً، وأعلى درجة من غيره، وإن كان بعض الخليقة كالسماء أشد منه خلقاً كما ذكر الله تعالى ، ومن المعلوم أن كمال الصنع هو المقصود منه، لذا كنا نعد مراحل وجود الإنسان المختلفة من المنوية والجنينية والطفولية وغيرها مقدمة لوجود الإنسان الكامل، وهكذا[1] .

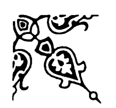
وبناء على هذه المقدمة، يبدو لنا أن الإنسان بوجوده هو مدار الحياة في الدنيا، وهو خليفة الله في أرضه، وإليه بعث الرسل والأنبياء بغية إنقاذه من الظلمات إلى النور، وهذا من التكريم الإلهي للجنس البشري بما صرح به القرآن في قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً﴾**[2] والذي تدل عليه الآيات القرآنية أن الإنسان خلق ذاتياً على هذه الصفة المتكاملة في الخلق، وضمن ذلك التدرج في الأطوار، وليس هو مشتقاً من أصل حيواني آخر، أو وجود خلقي غيره، بل هو مما أبدعه الله واجتباه واختاره، بعد أن خلق السماوات والأرض، وجعله مركباً من جزئين مادي ومثالي، فالمادي هو هذا البدن في تركيبه الفريد، والمثالي هو الروح المتلبسة بهذا البدن، والبدن فان، والروح خالدة، فإذا نزل بالإنسان الموت، فارقت الروح جسمه حيةً باقية، حتى تجتمع مع البدن بعد تفرقه وصيرورته تراباً، وهذا الاجتماع الأخير يكون بذلك اليوم الموعود يوم القيامة، فيلتقيان التقاء أبدياً لا فرقة بعده على الإطلاق .

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ١٠/ ١٥٢ .

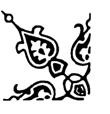
(٢) سورة الإسراء/ ٧٠ .

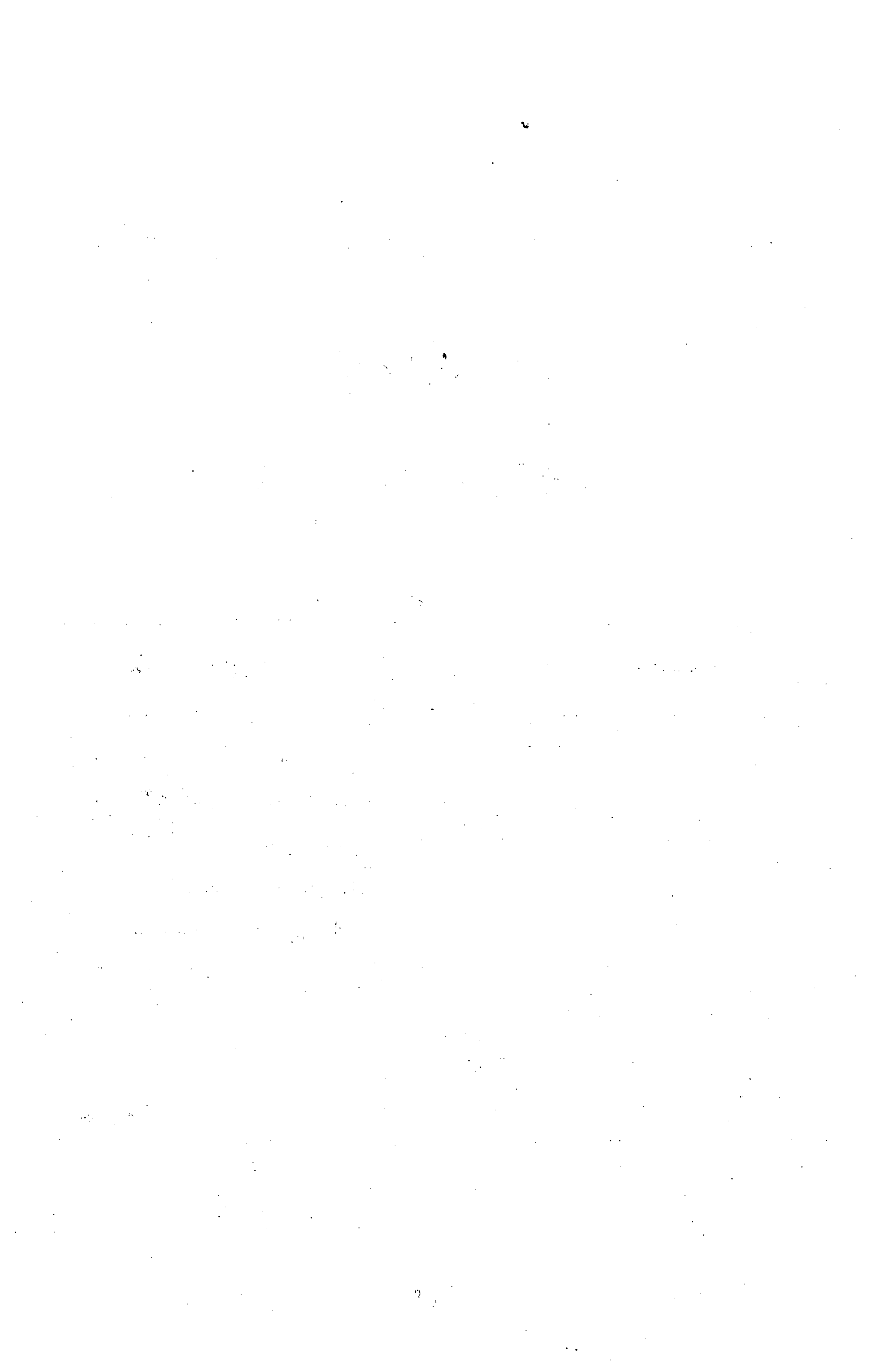



(الفصل الرابع)

(مراحل التعليم الإنساني)

١- تعليم آدم الأسماء.
٢- مواراة الإنسان.
٣- تعليم إدريس الكتابة.
٤- تعليم نوح النجارة.
٥- رفع القواعد من البيت.
٦- ذو القرنين وبناء السد.
٧- داود وصناعة الدروع.
٨- سليمان وتسخير الجن.
٩- العلم اللّدني.



١- تعليم آدم الأسماء

والذي يجلب الانتباه حقاً هو تطوير هذا الإنسان البدائي في مرحلة من مراحل التعليم المتدرج في حياته العامة، حتى تكافلت ملكاته وتدريباته لقيادة الحياة.

وقد بدأت هذه المراحل بآدم أبي البشر، حيث علمه الله الأسماء كلها، قال تعالى **﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾**(١).

وكان علم هذه الأسماء ظاهرة فريدة لا عهد للكائنات العاملة بها، فهي مما علمه الله لآدم وحده، وهي مما جهلته الملائكة على قربها من حضيرة القدس، وهم الملأ الأعلى، والإشارة لهم **﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ﴾** فيها دلالة صريحة على المشار إليه بأنهم أعيان موجودة في لوح الغيب، وفي قوله تعالى: **﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾** دلالة أخرى على حياتهم وكونهم من العقلاء لا المخلوقات الأخرى، وإحاطة آدم بها وعجز الملائكة عنها فيها لمح بأن لذلك علاقة مباشرة رصينة بعملية الاستخلاف في الأرض، فهم إذن أسماءُ أعيانٍ

---

(١) سورة البقرة/ ٣١-٣٣.

غائبة عن الملائكة لأنها من غيب السماوات والأرض ، وقد اطلع الله عليها آدم دون الملائكة ، وأن لهذه الأعيان بأسمائها المخصصة لها تأثيرها الفعلي والقائم بمسيرة الكون . وأنها السرّ في خلق هذا الإنسان واستخلافه الأرض ، وأن على استخلافه يترتب وجود هذه الأعيان مستقبلياً لقيادة العالم ، إذ مانفى الله تعالى الإفساد في الأرض ، ولا سفك الدماء فيها ، ولكنه أشار بالضمائر العاقلة لارتباط الخلق بأعيان بذواتها يترتب على إيجادها صلاح العالم وإصلاحه ، وأنها في ذلك الحين من الأسرار الغيبية الخاصة التي علمها لآدم وحده ، فنزهته الملائكة سبحانه مما يدور في حسبانها من الإفساد وسفك الدماء ، وجملة هذا الاستفهام أو الاسترحام في بيان الحكمة من ذلك . وفي ضوء هذا العرض نقطع قطعاً جازماً لا تردد فيه :

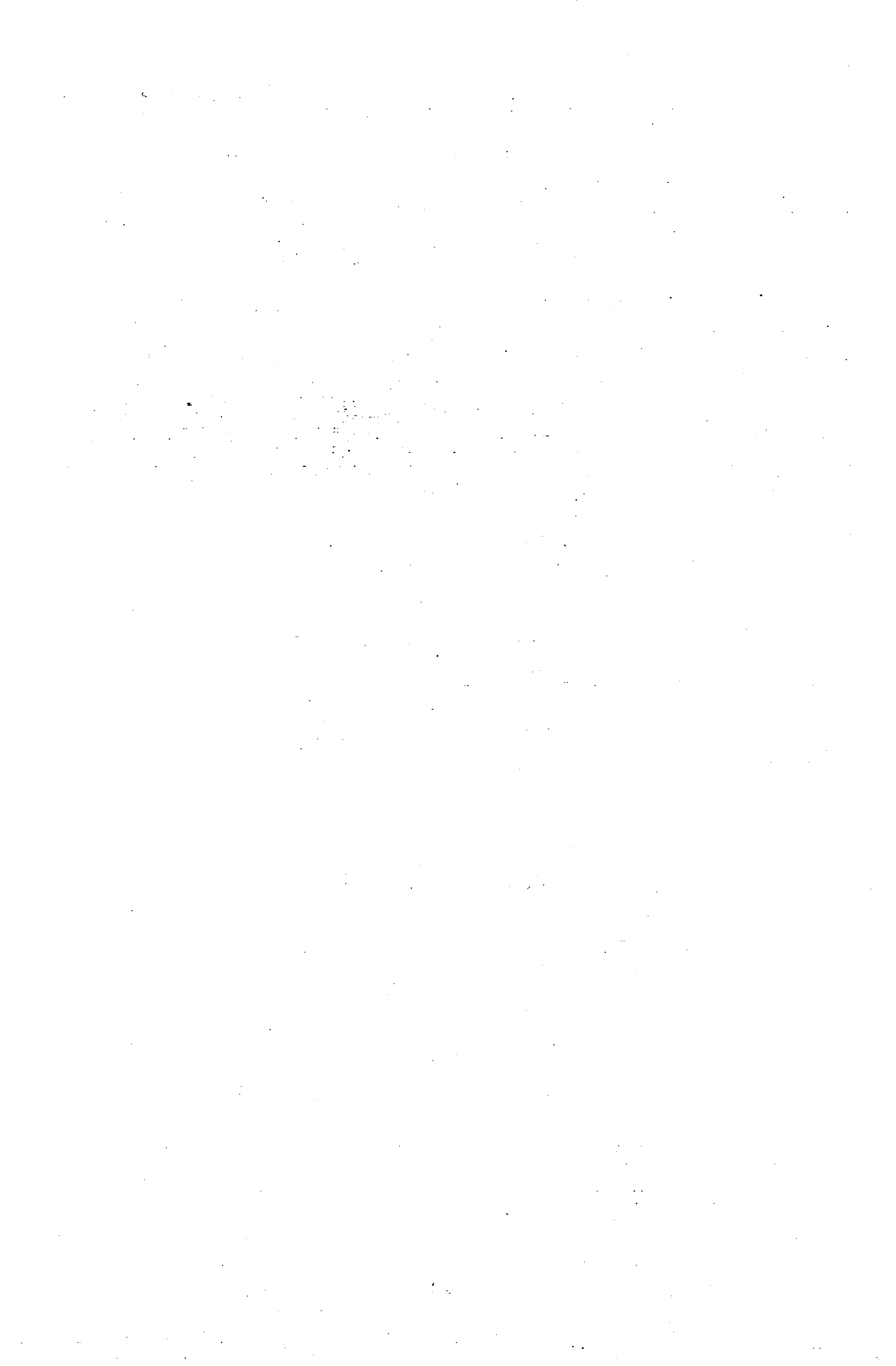
(أن هؤلاء الذين عرضهم الله على الملائكة موجودات عالية محفوظة عند الله تعالى ، محجوبة بحجب الغيب ، أنزل الله سبحانه كل اسم في العالم بخيرها وبركتها ، واشتق كل ما في السماوات والأرض من نورها وبهائها)[1] .

إذن هناك غاية عليا من تعليم آدم هذه الأسماء تتعلق بوجود الكون ، فمع ما يحصل في الأرض من الفساد وسفك الدماء إلا أن حقيقة كبرى أهم تتدارك هذا الملحوظ ، وتتحقق في هذا الإيجاد ، وهو وجود هذه الأعيان بأشخاصها حينما تخلق من ذرية هذا المخلوق الأول ، لأسباب عالية جداً في محور الحياة الإنسانية المثلى المرتبطة بهؤلاء الأشباح الذي سيتصلون بالدنيا في أوانهم ، فيجسدون حقيقة نظام السماء في الأرض .

---

(١) الطباطبائي / الميزان ١/ ١١٨ .

أمّا من هي هذه الذوات والأسماء والأعيان ، فالذي عليه الإمامية إجماعاً أنهم النبي (ص) والزهراء (ع) والأئمة الاثنا عشر عليهم السلام ، في ضوء روايات بلغت من الكثرة حد الشهرة والاستفاضة بما لا يقبل الشك ، وتلك عقيدتنا في ظل إضاءة القرآن العظيم ، والعقائد تنبع من قناعات راسخة . ولا سبيل إلى نسف القناعات الثابتة ، لأنها نابعةٌ من صميم النفس الإنسانية ، فإذا استُمدتْ من رافد القرآن العظيم عادت أصلاً من أصول العقيدة .



٢-مواراة الإنسان

وعلم سبحانه وتعالى ابن آدم القاتل لأخيه كيفية مواراته في التراب بعد قتله ، وكان هذا التعليم ميداناً عملياً ، قال تعالى : **﴿فَبَعَثَ اللهُ غُراباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قالَ يا وَيْلَتى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هذا الْغُرابِ فَأُوارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النّادِمِينَ﴾** [١] .

ويستفاد من هذا التعليم أن الأصل هو الدفن للأموات في الأرض ، لا الحرق ولا الإغراق ، ولا عدم المواراة في التراب بأي شكل من الأشكال .



(١) سورة المائدة / ٣١ .

٣- تعليم إدريس الكتابة

والنبي إدريس ﷺ ، وهو أول من أعطي النبوة بعد آدم ﷺ ، على رواية من قال أن شيث بن آدم وصي لا نبي ، وكان إدريس أول من خط بالقلم ، وأول من نظر في علوم النجوم والحساب ، وحكماء اليونان يسمونه (هرمس الحكيم) وقد أنزلت عليه (فيما قيل) ثلاثون صحيفة ، وهو أول من جاهد في سبيل الله وقطع الثياب وخاطها ...[١] .

وهذا يعني أن إدريس قد علم الكتابة ، ونظر في علم الفلك ، وعلّم الناس خياطة الثياب وقطعها ، وعلمهم استعمال السلاح في الجهاد في سبيل الله عز وجل .



---

(١) ابن الأثير / الكامل في التاريخ / ١/ ٣٤ .

٤- تعليم نوح النجارة

وعلّم الله نوحاً صناعة السفن، ولم يكن للبشرية عهدٌ بها قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا﴾ [1] فكان الوحي الإلهي للإنسان بصناعة السفن حدثاً عالمياً جديداً، إذ لم يكن للبشر بسبيل من هذه الظاهرة، لا سيما أن نوحاً ﷺ كان في منطقتنا هذه الكوفة، وهي بعيدة عن مواطن البحار والمحيطات التي تحتاج إلى السفن العملاقة، وكانت سفينة نوح من السفن الكبيرة التي اتسعت لحمل الكائنات الأرضية من كل زوجين اثنين من الأحياء الحيوانية وفصائل النبات مضافاً إلى من آمن معه من بني الإنسان.

ولم يكن أمر الله لنوح ببناء السفينة وصنعها أمراً اعتباطياً، وإنما كان للحظ إعجازي من أجل سلامة الذرية من الطوفان العالمي المشهود الذي كان نتيجة الأمطار الهائلة الغزيرة، وتفجير الأرض بالعيون الفوارة الهادرة بما سنأتي عليه عند عذاب الاستئصال.

۞ ۞ ۞ ۞

(١) سورة المؤمنون / ٢٧.

٥- رفع القواعد من البيت

وتقدمت البشرية شوطاً بعيداً ، وتكاثر العالم ، فبعث الله إبراهيم (عليه السلام) ، وعهد إليه وإلى والده إسماعيل ببناء البيت الحرام ، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ... ﴾ [1]

وإبراهيم (ع) عراقي الولادة والنشأة ، وبمنتهى الذكاء والمعرفة ، وقد عرّفه الله بمكان البيت ، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾... [2] ويبدو أنه قد عرف البناء والهندسة ووضع الأسس ، وقد تعلم هذه المهنة إمّا من (الكلدانيين) في (آور) أو البابليين في (بابل) وكلاهما موطن حضارة ، فرفع قواعد البيت الحرام هو وإسماعيل عليه السلام ، وكان هذا التعليم للانتقال بالإنسان إلى العوالم المتحضرة في العمران إلا أن التعليم المهم بل الأهم ، بل الأصل الذي قدمه إبراهيم إلى البشرية هو جمعهم على الفطرة الإنسانية التلقائية في التوحيد ، وإلغاء ما فوجئ به من عبادة قومه للأصنام والكواكب ، ولقد حاجج هؤلاء وهؤلاء ، مستدلاً على بطلان عبادتهم بالدليل البديهي تارة ، والاستدلال البرهاني تارة أخرى ، فالأصل هو التوحيد لا الإشراك ، فلقد حاجج أباه مفصلاً في ذلك ، وحاجج قومه كذلك ، وقد أراه الله ملكوت السماوات

---

(١) سورة الحج : ٢٦ .

(٢) سورة البقرة / ١٢٧ .

والأرض ، واستيقن ذلك بنفسه ، وعلم بالدليل الفطري أن مدبر هـذا الكـون هـو الله وحـده ، لا المستحدثات كـالكواكب والشـمس والقمـر لأنـها تتغـير وتتقلـب ، وتغيـب وتطلـع وتـأفل ، فـهي حادثـة ، والله وحـده هـو القديـم ، وأبطل عبادة الأصنام لأنـها مصنوعـة لا صانعـة ، ومدبَّرة لا مدبّـرة ، لا تنفـع ولا تضر ، ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل ، فهي هياكل منحوتة جوفاء ، وكـل أولئك أدلة برهانية هـي مـن أبـرز مظـاهر التعليـم العقلـي الـذي يفـوق مظـاهر التعليم الهندسي والعمراني ، فقد سبق الآشوريون والكلدانيون والسـومريون والبابليون إلى حضارات جمّة سادت ثم بـادت وآثارهـا باقيـة حتـى اليـوم فـي العراق .



٦- ذو القرنين وبناء السد

ويبلغ التقدم العلمي ذروته على يد ذي القرنين حينما أشرف على بناء أعظم سد في العالم بين جبلين عظيمين بالحديد والنحاس بطلب من جيل من الناس لا يكادون يفقهون قولاً، حذراً من جيلين مفسدين في الأرض، قال تعالى: **﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾**(١).

قال الطباطبائي: (إن الردم الذي بناه هو في غير مغرب الشمس ومطلعها، فإنه بعد ما بلغ مطلع الشمس اتبع سبباً حتى إذا بلغ بين السدين، ومن مشخصات ردمه إلى كونه واقعاً في غير المغرب والمشرق أنه واقع بين جبلين كالحائطين، وأنه ساوى بين صدفيهما، وأنه استعمل في بنائه زبر الحديد والقطر، ولا محالة هو في مضيق هو الرابط بين ناحيتين من نواحي الأرض المسكونة)(٢).

وكان هذا العمل من ذي القرنين باكورة حضارية متطورة، إذ لم يستطع الجيلان المعاصران لهذا السد العظيم أن يتجاوزاه لعلوه وارتفاعه، وما

---

(١) سورة الكهف / ٩٤-٩٧.

(٢) الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ١٣/ ٤٠٨.

استطاعا نقبه لاستطالته واستحكامه ، وقد بقي تشخيص هذا السد المحكم مجهولاً لم تتوصل الأثريات والحفريات إلى استكناه معالمه ، واستقراء آثاره ، ورصد منطقته بالضبط ، إلا من باب التقريب لا التحقيق .



٧- داود وصناعة الدروع

وعلّم الله تعالى نبيه داود ﷺ صناعة الدروع بما حكاه القرآن العظيم، قال تعالى : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾[1] وألان الله له الحديد ضمن دساتير معينة ومقادير ثابتة، قال تعالى : ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾[2] واستخدام الحديد وتطويعه لداود يعتبر فتحاً حضارياً كبيراً لما في الحديد من بأس وقوة، وما في استعماله من تقدم في الصناعات والإنشاءات والمرافق، مما يعني تحفز البشرية إلى حياة أفضل في التصنيع والإعمار، مضافاً إلى متابعة الأحداث الحربية .

❁ ❁ ❁ ❁

(١) سورة الأنبياء / ٨٠ .

(٢) سورة سبأ / ١٠-١١ .

٨- سليمان وتسخير الجن

سخّر الله تعالى لنبيه سليمان ﷺ الجن بطاقاتها الهائلة بما أضاف به حضارة جديدة لا عهد للإنسانية بها، وسخر الله له الريح إعجازاً، وأسال له عين القطر، كل ذلك في لمسات نابضة بالحس والحركة والعمل الدؤوب، قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ...﴾ (١).

كما جرى على يديه المدرك الإعجازي في نقل عرش ملكة سبأ من اليمن إلى الأرض المقدسة بلمح البصر، بما صرح به القرآن: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (٢) فعفريت الجن تحدث عن قدرته وقوته الطبيعية على الإتيان بالعرش قبل أن يقوم سيمان من مجلسه، أما الذي عنده علم من الكتاب فقد تحرك إعجازياً، وتحدث بالمنطق الخارق لنواميس الطبيعة فجاء به قبل ارتداد طرفه إليه، فكان مستقراً فوراً بين يديه، فشكر الله تعالى على هذه النعمة المتجددة.

---

(١) سورة سبأ / ١٣.

(٢) سورة النمل / ٣٨-٤٠.

٩- العلم اللّدني

وهو علم الموهبة الخاصة وهبه الله تعالى من لدنه لعباده الأبرار، واختص به الصديقين منهم، ويمثل هذا العلم صريحاً في القرآن العالم الذي أمر الله موسى أن يلقاه عند بلوغ مجمع البحرين قال تعالى **﴿فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً﴾** [1] هذا العلم اللدني المتميز لا طريق كسبياً لإفادته، وإنما أضيف إلى الله تعالى، وهو الذي انبهر به موسى، وتملكته الحيرة والدهشة بما عمله صاحب هذا العلم الفريد، حتى استنكر ما قام به من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار الذي يريد أن ينقض، واعترض عليه في كل هذه القضايا، ولم يصطبر حتى فارقه العالم بعد أن أنبأه بتأويل مالم يستطع عليه صبراً، قال تعالى حاكياً ذلك:

﴿أَمّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وَكانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً * وَأَمّا الْغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَكُفْراً * فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً * وَأَمّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَكانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَيَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾ [2].

---

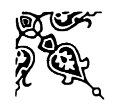
(١) سورة الكهف / ٦٥ .

(٢) سورة الكهف / ٧٩-٨٢ .

هذا العلم اللدني الذي يتجاوز ظاهر الحدث، ويغوص إلى حقائق الأشياء، لا يتمتع به إلا صفوة مختارة من القديسين والصالحين، وقد كان هذا العالم نموذجاً من نماذجها .

بعد هذه المراحل من التعليم الإنساني، يغوص الإنسان حياة في جهد وكدّ وكدح، يعمل ويدأب ويكافح، يصول ويجول ويناضل، حتى يطلّ على عالم الموت، وهو ما يتحدث عنه الفصل القادم .



(الفصل الخامس)

(قصة الموت)

١- الموت خلق جديد.

٢- الإمام علي عليه السلام يتحدث عن نوازل الموت.

٣- الموت في روائع الشعر العربي.

٤- وسائل الموت واختلاف حالاته.

٥- الموت الجماعي وعذاب الاستئصال:

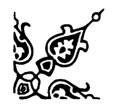
أ. الإحياء الإعجازي.

ب. الموت الطبيعي.

ج. الموت الجماعي.

د. نبأ الذين سبقوا:

قوم نوح، عاد وثمود، قوم لوط، قوم شعيب، فرعون وآل فرعون، أصحاب الفيل، استثناء أمة محمد (ص).

١- الموت خلق جديد

ويعيش الإنسان بأمل، ويموت بأجل، يأمل أن يعمر فيكدح ويكد ويكافح، ولكنه يموت بأجله تاركاً وراءه كل شيء إلا العمل الصالح والعلم النافع والصدقة الجارية والولد البار، وهذا ما نطقت به الروايات الصالحة ففيها: (إذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له، وعلم ينتفع به، وصدقة جارية).

هذا هو واقع الحدث الهائل في قصته وهو الموت الكائن وقصة الموت بعيدة الغور، عظيمة الوقع، كبيرة المحنة، قال تعالى: **﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**[1].

فبعد إفاضة الوجود والحياة على الإنسان، تكون إفاضة الموت بتقدير وحساب دقيق، ذلك أن الموت حق مقدر، كما أن الحياة مقدرة بأبعادها كافة، وذلك ما يستلزمه وجود الكائن الإنساني حتى انتهاء حياته هذه بحياة جديدة أخرى، قال الطباطبائي (ومحصل معنى الآيتين أن الموت بينكم إنما هو بتقدير منّا لا لنقص في قدرتنا بأن لا يتيسّر لنا إدامة حياتكم، ولا لغلبة الأسباب المهلكة المبيدة وقهرها وتعجيزها لنا في حفظ حياتكم، وإنما قدّرناه بينكم على أساس تبديل الأمثال، وإذهاب قوم والإتيان بآخرين، وإنشاء

---

(١) سورة الواقعة / ٦٠-٦١ .

خلق لكم يناسب الحياة الآخرة وراء الخلق الدنيوي الداثر، فالموت انتقال من دار إلى دار، وتبدل خلق إلى خلق آخر، وليس بانعدام وفناء)[1].

ويؤيد هذا التوجيه لمعنى الآية النظر العلمي في قوله تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾[2].

فالذي خلق الحياة بعوالمها المتحركة المشاهدة هو الذي خلق الموت بعوالمه المجرّدة المتصوّرة، وعلى هذا فليس الموت عدماً كما عند جيل من الفلاسفة والماديين، وإنما هو خلق آخر، يتصف بوجود متكامل لا سبيل إلى نكرانه عقلاً وشرعاً، فهو انتقال من حال إلى حال، وتبديل كيفية وخلق بكيفية أخرى وبديل آخر في وجود آخر، ذلك الوجود وجود إحيائي واستمراري لهذا الوجود الإنساني المتلاشي بخلق جديد فيما لا يعلمه الإنسان بفكره المحدود، والذي سيعلمه جزماً بواقعة المشهور، وعلى هذا يصح تعلق الخلق بالموت كما تعلق الخلق بالحياة، ومن باب وجود الشيء وما يقابله تقريباً نظرياً وعقلياً وحسياً، كما نقول: البصر والعمى، والخير والشر، والليل والنهار حذو القذّة بالقذّة.

والذي يدل على ملحظ خلق الموت لا عن عجز في إدامة الحياة، ولا عن وهن في دفع الكوارث الصحية والطبيعية تقرير الطب الحديث فعلاً: فالذي ذهبت إليه الدراسات الطبية الحديثة أن العجب كل العجب لا يكمن في حياة الإنسان وخلقه الأولي فحسب، بل يكمن أيضاً في موت الإنسان، لأن خلايا الجسم الإنساني وجيناته وحجيراته وذراته المنتشرة في أجزاء البدن

---

(١) الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ١٩/ ١٣٣ .

(٢) سورة الملك / ٢.

وهي معدودة بالملايين قابلة للحياة آلاف السنين دون فناء أو انحلال ، **فكيف** تتلاشى بالموت؟ والجواب أن الموت خلق جديد ، كما كانت **الحياة خلقاً** جديداً ، وأن الذي خلق الحياة هو الذي خلق الموت لا عن **عجز** في استمرارية الوجود للإنسان ، بل هناك عملية معقّدة كبرى في انتقال هذا الكائن من دار إلى دار ، ومن حياة أولى إلى حياة أخرى .

وهكذا اقتضت حكمة الله تعالى أن ينتزع روح الإنسان عند بلوغ أجله وانقضاء مدته ، فبينا هو بين أولاده وإخوانه وأهل بيته ، وإذا به يغادرهم دون رجعة ، ويفارقهم دون عودة ، مخلفاً ماله للوارثين ، وعياله في الغابرين ، ومقتنياته للعابثين ، فهو من هذا المناخ في مصيبة إذن ، كما عبر عن ذلك القرآن ، قال تعالى : **﴿ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾** (١) وتسبقه سكرة الموت ، ومشاهد النزع الأخير ، وبداية النهاية ، فيشاهد عوالم لا عهد له بها ، ويبصر ظواهر لا محيد عنها ، فهو بين حسرة الفوت وسكرة الموت ، قال تعالى **﴿وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾** (٢) وتعطلت السبل بهذا المخلوق المتكامل ، وسدت الذرائع من جهاتها كافة ، أخفق الأطباء في إنقاذه من براثن الموت ، وكانت غاية العمر وخاتمة المسيرة ، قال تعالى : **﴿كَلاَّ إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ * وَقِيلَ مَنْ راقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ * وَالْتَفَّتِ السّاقُ بِالسّاقِ * إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ﴾**(٣)

---

(١) سورة المائدة / ١٠٦ .

(٢) سورة ق / ١٩ .

(٣) سورة القيامة / ٢٦-٣٠ .

٣- الإمام علي يتحدث عن نوازل الموت

ويقوّم الإمام علي ﷺ هذه الدنيا وإن طالت أيامها في اتجاهات عدّة، و هو الخبير بحقائق الأشياء، وخطبه في هذا الميدان جوهرية الإيراد، تتناول أبرز ما يعرض للإنسان لحظة الموت، وتصور ما يقدم عليه الإنسان عند الموت، تمهيداً منه لاستكناه الفطنة والعبرة، وهنا يلتقي الغرض النفي في تصوير الموت وما يترتب على نوازله، بالغرض الديني في الحكمة والموعظة الحسنة وإنارة السبيل، الإمام ﷺ قد يقارن فراق الدنيا بمن هو أعمر دياراً، وأطول أعماراً، وأبعد آثاراً، وتكون النتيجة المحصّلة بعد ذلك استبدال الإنسان دار العمران بدار البلا، واشتبال مساكن الاغتراب بعد مواطن الاجتماع، ذلك كله يتجلى بلمسات حية تنبض بالحس والحركة لأنها من الواقع المرير القائم بالفعل وشيكاً، قال ﷺ : (واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى قبلكم، ممن كان أطول منكم أعماراً، وأعمر دياراً، وأبعد آثاراً، أصبحت أصواتهم هامدة، ورياحهم راكدة، وأجسادهم بالية، وديارهم خالية، وآثارهم عافية، فاستبدلوا بالقصور المشيّدة والنمارق الممهدة: الصخور والأحجار المسندة، والقبور اللاطئة الملحدة، التي قد بني على الخراب فناؤها، وشيّد بالتراب بناؤها، فحملها مقترب، وساكنها مغترب، بين أهل محلة موحشين، وأهل فراغ متشاغلين، لا يستأنسون بالأوطان، ولا يتواصلون تواصل الجيران، على ما

بينهم من قرب الجوار، ودنوّ الدار، وكيف يكون بينهم تزاور، وقد طحنهم بكلكله البلى، وأكلتهم الجنادل والثرى) [1].

أجل لقد تغيرت المعالم، وسدت المنافذ، وانتهت الحياة الدنيا، حيث خمدت الأنفاس، وتعطلت الأعضاء، وبطلت الحركة، وضلّ السعي، وشلّ العمل، ووهن النشاط، وعاد الإنسان جثة هامدة، فكان ذلك آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة : قال تعالى : **﴿يا أَيُّهَا الإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾** [2].



(١) ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة ١١/ ٢٥٧ .

(٢) سورة الانشقاق / ٦ .

٣- الموت في روائع الشعر العربي

وشغل الموت تفكير الناس ومازج مشاعرهم في الكآبة والإحباط، فعللته الفلاسفة، وبرمجه الأطباء، وتناوله الشعراء، ولعل عدي بن زيد العبادي النجفي الحيري الشاعر الجاهلي من ألمع الشعراء الذين تحدثوا عن الموت بألم وعبرة ومرارة، في تقلب الزمان، ونتيجة الإنسان ومواراة القبور، ونهاية الملوك والأحياء، جاء ذلك في قطعة شعرية رقيقة وهو في العصر الجاهلي، حتى عد بذلك حكيماً ومعتبراً وزاهداً، وهو صادق في كل ما قال.[1]

أيّها الشامتُ المعيّرُ بالدهر ... أأنتَ المبّرأ الموفورُ

أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأيام ... بلْ أنتَ جاهلٌ مغرورُ

أين كسرى كسرى الملوك ... شروانَ أم أينَ قبلَهُ سابورُ

وبنو الأصفر الكرامُ ملوكُ ... الروم لم يبقَ منهم مذكورُ

وأخو الحَضْر إذ بناهُ، وإذ دجلةُ تَجبى إليه والخابورُ

لمْ يَهَبْهُ ريبُ المَنون فبادَ المُلك عنهُ. فبابُه مهجورُ

شادَه مُراً. وجلله كلساً. فللطيرُ في ذراهُ وكورُ

وتبينْ ربَّ الخورنق إذا أشرفَ يوماً. وللهدى تفكيرُ

---

(١) ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة ١١ / ١٧١-١٧٢.

سـرّه حالُـهُ . . وقـالَ : فمـا غبطـةُ حـيٍّ إلـى الممـات يصيـرُ
ثـمّ بعـد الفـلاحِ والملـك والأمّـة . . وارتـهمُ هنـاكَ القبـورُ
ثـم أضحـوا كأنـهم ورقٌ جـفّ فـألوت بـه الصَبـا والدبـورُ

قال ابن أبي الحديد معقباً: قد اتفق الناس أن هذه الأبيات أحسن ما قيل من القريض في هذا المعنى، وأن الشعراء كلهم أخذوا منها، واحتذوا وحذوها[1]

وقال الأستاذ أحمد شوقي أمير الشعر العربي[2] :

ضَرَبـوا القبـابَ علـى اليبـاب وثـووا إلـى يـومِ الحسـاب
هَمَـدوا . . وكـل مُحـرك يومـاً . . سيسـكنُ فـي الـتراب
وكأنـهمْ صَرعـى كـرىً بالقـاعِ . . أو صَرعَـى شَـراب
فـإذا صَحَـوا وتَنبـهّوا فاللـهُ أعلـمُ بالمـآب
فـي العـالم الفـاني مصـير العـالمينَ إلـى ذهـابِ
مـن سـار لـمْ يثـن العنـا نَ . . ومـن أقـامَ إلـى الثّبـابِ
أمـا الأمـور فإنَـها بلغـت إلـى فصـل الخطـابِ

والموت هو فصل الخطاب، إذ لا خطاب لطغيان الإنسان أبلغ منه .

ويقول الأستاذ محمد مهدي الجواهري شاعر العرب الأكبر[3] :

لغـزُ الحيـاة وحـيرةُ الألبـاب أنْ يسـتحيلُ الفكـر محـضّ تـراب
أن يُصبـحَ القلَـبُ الذكـيُّ مفـازةً جـرداءَ حتـى مـنْ خُفُـوق سـراب
فيـمَ التحـايلُ بـالخلودِ . . ومُلْـهَم لحِفـيرَةٍ . . ومُفكّـر لتَبـاب

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١/ ١٧١-١٧٢ .

(٢) أحمد شوقي / الشوقيات ٣/ ٢٦ .

(٣) محمد مهدي الجواهري / ديوان الجواهري ٤/ ٣٤٢ .

حسبي بليتَ تعلّةً . . إذ ميتةً حتمٌ وإذ آجالُنا بنصاب

ليتَ السماءَ الأرضَ . . ليتَ مدارَها للعبقريّ به مكانُ شهاب

مَنْ منكُم رُغمَ الحياة وعبئها لم يحتسب للموت ألفَ حساب

أنا أبغضُ الموتَ اللئيمَ وطيفَهُ بغضي طيوف محَاتل نصّاب

يَهَبُ الردى شيخوختي بكهولتي . . بشبابي

ذئب ترصدني وفوق نيوبِه دم إخوتي وأقاربي وصحابي

وستأتي عليك قصيدة المؤلف في الموضوع في خاتمة هذه الرسالة .

❀ ❀ ❀ ❀

٤- وسائل الموت واختلاف حالاته :

والذي يتولى عملية الموت هو الله تعالى بأمر منه فتستل الأرواح من الأجسام، وذلك عن طرق الملائكة الموكلين بقبض الأرواح وبوسائل متعددة كما تحدث عن ذلك القرآن العظيم، وهو يفرز الحالات في كيفية الأوامر المباشرة وغير المباشرة في عملية الموت :

قال تعالى : **﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾** ... [١]

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ ... [٢]

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ [٣]

فالله تعالى هو الذي يتوفى الأنفس، وهو الذي أوكل ملك الموت بالناس يتوفاهم، ورسل الله من الملائكة هم الذين يتوفون الإنسان بتخويل من الله تعالى، فقد أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر ﷺ في قوله تعالى **﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾** [٤] قال - يعني الإمام الباقر ﷺ : دخل رسول الله على رجل من الأنصار يعوده، فإذا بملك الموت عند رأسه ، فقال رسول الله

---

(١) سورة الزمر / ٤٢ .

(٢) سورة السجدة / ١١ .

(٣) سورة الأنعام / ٦١ .

(٤) سورة السجدة / ١١ .

(ص): يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن، فقال: ابشر يا محمد فإني بكل مؤمن رفيق، واعلم يا محمد أني لأقبض روح ابن آدم يصرخ أهله، فأقوم في جانب من الدار فأقول: والله مالي من ذنب، وإن لي لعودة وعودة، الحذر الحذر !! وما خلق الله من أهل بيت ولا مدر ولا شعر ولا وبر في بر ولا بحر، إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم وليلة خمس مرات حتى أني لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، والله يا محمد إني لا أقدر أن أقبض روح بعوضة حتى يكون الله تبارك وتعالى هو الذي يأمر بقبضه[1].

وفي هذا الأثر عدة دلالات أبرزها :

أن النبي (ص) يكشف له عن بصيرة فيرى ملك الموت .

أن ملك الموت رفيق بالمؤمنين كما يدل على ذلك القرآن أيضاً .

أن ملك الموت يستعرض الوجود لقبض الأرواح خمس مرات باليوم، ويعد بالعودة إلى البيت، وينصح بالحذر الشديد .

أن الأمر يصدر من الله في قبض الأرواح، وللملك التنفيذ ليس غير .

بيد أن عملية الموت ليست واحدة وفي سياق واحد عند قبض الأرواح، فالمؤمنون والمتقون يرفق بهم عند الموت فلا يمسهم إلا مساً رقيقاً، وتزجى لهم التحية بالسلام، ويبشرون بدخول الجنة عند النزع الأخير، وهذا ما يحدده القرآن في جملة من الآيات، قال تعالى: **﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[2]

ويقوم الإمام الصادق عليه السلام فيما روي عنه بوصف نهاية الصالحين وصفاً ميدانياً رائعاً يتمثل به الولاية الإلهية لأهل البيت عليهم السلام، ففي الكافي

---

(١) السيوطي / الدر المنثور / تفسيره للآية .

(٢) سورة النحل / ٣٢ .

عن سدير الصيرفي قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: جعلت فداك يا بن رسول الله، هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: لا، والله إنه إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول ملك الموت: يا ولي الله لا تجزع، فوالذي بعث محمداً لإنني أبر بك، وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر: قال: ويمثل له رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام، فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام رفقاؤك قال: فيفتح عينيه، فينظر، فينادي روحه مناد من قبل رب العزّة، فيقول: أيتها النفس المطمئنة إلى محمد وأهل بيته ارجعي إلى ربك راضية مرضية بالولاية، مرضية بالثواب، فادخلي في عبادي يعني محمداً وأهل بيته، وادخلي جنتي، فما من شيء أحب إليه من استلال روحه، واللحوق بالمنادي.[1]

ويؤكد الإمام الصادق مرة أخرى هذه الحقيقة، فيما يجري عند نزول الموت بالمؤمن، فيقول:

(إذا كان ذلك أتاه رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ومعهم ملائكة الله عز وجل المقربون، فإن أنطق الله لسانه بالشهادة له بالتوحيد، وللنبي بالنبوة، والولاية لأهل البيت، شهد على ذلك رسول الله (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، والملائكة المقربون معهم، وإن اعتقل لسانه خص الله نبيه بعلم ما في قلبه من ذلك، فشهد به، وشهد على شهادة النبي علي وفاطمة والحسن والحسين على جماعتهم من

---

(١) الكليني / الكافي / أورده الطباطبائي / الميزان ٢٠/ ٢٨٧ .

الله أفضل السلام ، ومن حضر معهم من الملائكة ، فإذا قبضه الله إليه صير تلك الأرواح إلى الجنة في صورة كصورته ، فيأكلون ويشربون ، فإذا قدم عليهم القادم عرفهم بتلك الصورة التي كانت في الدنيا [1] .

وأما الذين تتوفاهم الملائكة من الظالمين والكفرة والمردة ، فلهم حالات متعددة عند الموت ، ومشاهد هائلة في النزع ، وصفات فظيعة في اللحظات الحاسمة يصورها القرآن كالآتي :

١- الأمر الفوري الصارم بدخول جهنم خالدين فيها ، وقد أسقط في أيديهم ، ورأوا مالم يكن بالحسبان ، فهم منه في ذهول وشدة ، قال تعالى : **﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾** [2] .

٢- المساءلة والمجادلة بينهم وبين الملائكة ، ومحاولة الاعتذار من قبل الظالمين ، ولكنه صرخة في واد ، والحكم بأن مأواهم جهنم وساءت مصيراً ، قال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [3] .

٣- ضرب وجوه الكافرين وأدبارهم ، والأمر الصارم بأن يذوقوا عذاب الحريق ، وهم عند الموت ، قال تعالى : **﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ**

---

(١) الطوسي / أمالي الطوسي / أورده صاحب الميزان ١/ ٣٦٣ .

(٢) سورة النحل / ٢٨-٢٩ .

(٣) سورة النساء / ٩٧ .

الحريق﴾ .[1] وقال تعالى : **﴿فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾**[2] .

٤- الأمر الهائل من قبل الملائكة بحسب تخويلهم من الله تعالى للظالمين بإخراج الأنفس قسراً وهم يتلاقفونها في غمرات الموت ، والوعيد بعذاب الهون معلّلاً بما قالوا على الله تعالى غير الحق ، وما كانوا يستكبرون عن آياته ، قال تعالى : **﴿وَلَوْ تَرى إِذِ الظّالِمُونَ فِي غَمَراتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آياتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾**[3] .

وعن الإمام الباقر ﷺ في حديث يذكر فيه قبض روح الكافر ، قال : فإذا بلغت الحلقوم ضرب الملائكة وجهه ودبره ، وقيل : **﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ..﴾** الآية[4] .

٥- والمكذبون بآيات الله يسألون عما يدعون من دون الله ويخصمون عند الموت ، ويقولون بضلالهم عنهم ، ويشهدون على أنفسهم بالكفر ، فيقال لهم ادخلوا جهنم في أمم سابقة ، فيدخلون ويتلاعنون فيما بينهم عند دخولهم ، وحتى استقرارهم فيها شهد الأواخر على الأوائل بالإضلال وطلبوا لهم ضعفاً من عذاب النار ، فيجابون بأن لكل ضعفاً . . . قال تعالى : **﴿حَتَّى إِذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قالُوا أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قالُوا ضَلُّوا عَنّا وَشَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا**

---

(١) سورة الأنفال / ٥٠ .

(٢) سورة محمد / ٢٧ .

(٣) سورة الأنعام / ٩٣ .

(٤) البحراني / البرهان / تفسيره للآية .

كافِرِينَ * قالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيها جَمِيعاً قالَتْ أُخْراهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلكِنْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [١]

ولك أن تقارن بين المشاهد لدى الموت بين المؤمنين والكافرين لتختار أسلم المشهدين بإذن الله تعالى، وهذا ما يدعو إليه العقل السليم والمنهج الحق.

والإشارة منّا إلى اختيار أحد السبيلين نابع إلى أن المرء يستطيع بتوفيق من الله أن يكيف حياته بالعمل الصالح، ويكثّف معطياته بالمبّرات والحسنات، وذلك أن الله تعالى قد جعل القوة الفاعلة والمدركة والعاملةَ بطواعية الإنسان، إن شاء سخّرها في الحق، وهو المندوب إليه، وإن شاء سخرها في الباطل وهو المنهي عنه، فإذا كانت الأولى سلم ونجا، وإن كانت الثانية خسر وهوى، وكلا الأمرين ينعكس على الإنسان عند الاحتضار إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وذلك بحسب النصوص القرآنية، وقد أورد السيوطي جزءً من ذلك لدى تفسيره قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ﴾ [٢].

قال: أخرج ابن مردويه عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله (ص) قال: إن نفس المؤمن إذا قبضت يلقاها أهل الرحمة من عباد الله كما يلقون البشير من أهل الدنيا، فيقولون: انظروا صاحبكم يستريح فإنه كان في كرب شديد، ثم يسألونه ما فعل فلان؟ وفلانة هل تزوجت؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله، فيقول: هيهات قد مات ذلك قبلي، فيقولون إنا لله وإنا إليه

---

(١) سورة الأعراف / ٣٧-٣٨.

(٢) سورة القارعة / ٩.

راجعون، ذهب به إلى أمه الهاوية، فبئست الأم، وبئست المربية.[1]

ولك أن تقف مبهوراً ومندهشاً عند حديث أمير المؤمنين الإمام علي ﷺ في رؤية المؤمن وسواه له، بما يروى عنه أنه قال: (لا يموت مؤمن يحبني إلا رآني حيث يحب، ولا يموت عبد يبغضني إلا رآني حيث يكره)[2].

ويشير الإمام الصادق ﷺ إلى غبطة أوليائه، وهو يبشرهم حين النزع، وبلوغ الروح الحلقوم، فيقول (ما بين ما وصف هذا الأمر، وبين أن يغتبط، ويرى ما تقر به عينيه، إلا أن تبلغ نفسه هذه، فيقال. أمّا ما كنت ترجو فقد قدمت عليه، وأمّا ما كنت تتخوف منه فقد أمنت منه، وإن إمامك لإمام صدق، أقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي والحسن والحسين عليهم السلام)[3].

ويؤكد الإمام هذه الحقيقة في عدة مشاهد موحية يتحدث عنها حول هذه النهاية الكريمة، فعن قنبة الأعمى، قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول:

(عاديتم فينا الآباء والأبناء والأزواج، وثوابكم على الله، إن أحوج ما تكونون فيه إلى حبّنا إذا بلغت النفس هذه، وأومأ بيده إلى حلقه)[4].

ودلالة الرواية أن حبّ أهل البيت وولاءهم سينفع المؤمنين إذا بلغت الروح التراقي، وهذه البشارة تشمل الإنسان في عالم البرزخ في قبره، كما توصله إلى نعيم الآخرة بعد حشره ونشره، ففي تفسير القمي بإسناده عن أبي بصير، قال سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول:

---

(١) السيوطي / الدر المنثور / تفسيره للآية.

(٢) ابن شهرآشوب / المناقب ٣/ ٢٣.

(٣) البرقي / المحاسن ١/ ١٧٤.

(٤) المجلسي / بحار الأنوار ٦/ ١٩١.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾[1] . في قبره ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾[2] .

لا ينفع الحذر من الموت ، فهو واقع لا محالة ، كما يقع الموت الفردي فكذلك يكون الموت الجماعي ، أما الأثر يستدل به على أمر ، وأما العذاب الاستئصال ، وهو ما يتحدث عنه البحث الآتي .

❁ ❁ ❁ ❁

(١) سورة الواقعة / ٨٨-٨٩ .

(٢) القمي / التفسير / تفسير الآية .

٥- الموت الجماعي وعذاب الاستئصال

وقد يكون الموت جماعياً لحكمة اقتضتها مصالح الكون والحياة، كما قص الله علينا حديث الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فأماتهم الله موتاً جماعياً، ثم أحياهم بفضله ولطفه ومتعهم إلى حين، قال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾**[١].

أ ـ **الإحياء الإعجازي**: وهذا الإحياء كان إيذاناً بالناس ليؤمنوا بالبعث والنشور بعد الموت، وضرب لهم نموذجاً حياً منه ليطمئنوا بذلك كما ضرب لهم نموذجاً حياً آخر من الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها متطلعاً إلى كيفية إحيائها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه، بما تحدث عنه القرآن العظيم، قال تعالى: **﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[٢].

---

(١) سورة البقرة / ٢٤٣ .

(٢) سورة البقرة / ٢٥٩ .

فقد روي عن أمير المؤمنين الإمام علي ﷺ : أن عزيراً خرج من أهله وامرأته حامل ، وله خمسون سنة ، فأماته الله مائة سنة ثم بعثه ، فرجع إلى أهله ابن خمسين سنة ، وله ابن له مائة سنة فكان ابنه أكبر منه فذلك من آيات الله . وقيل : إن عزيراً رجع وقد أحرق بخت نصر التوراة فأملاها من ظهر قلبه . . فقالوا ما جعل الله التوراة في قلبه إلا وهو ابنه ، فقالوا : عزير ابن الله . [1]

ومما تقدم يظهر أن الموت على نوعين : إفرادي وجماعي ، فالإفرادي هو موت كل إنسان بأجله كائناً ما كان السبب ، إمّا حتف أنفه ، أو نتيجة مرض ، أو فجاءة ، أو بالشيخوخة ، أو بانحلال البدن ونفاذ طاقاته ، وإمّا أن يكون بالحوادث النازلة كالقتل والغرق والحريق وأمثال ذلك .

يقول ابن أبي الحديد : واختلف الناس بالآجال ، فقالت الفلاسفة والأطباء : لا أجل مضروب لأحد من الحيوان كلّه من البشر ولا من غيرهم ، والموت عندهم على ضربين : قسري وطبيعي ، فالقسري الموت بعارض ، إمّا من خارج الجسد كالمتردي والغريق والمقتول ونحو ذلك ، أو من داخل الجسد كما يعرض من الأمراض القاتلة .

ب ـ **الموت الطبيعي** : والموت الطبيعي ما يكون بوقوف القوة الغازية التي تورد على البدن عوض ما يتحلل منه ... ومن الأفكار والهموم وملاقاة الشمس والريح ، والعوارض الطارئة ، ومن الجوع والعطش ، والقوة الغازية تورد على البدن عوض الأجزاء المتحللة ، فتصرفها في الغذاء المتناول ... ومنتهى بقاء هذه القوة في الأعمّ الأغلب للإنسان مائة وعشرين سنة .

---

(١) الطبرسي / مجمع البيان ٢/ ٣٧٠ .

وقد رأيت في كتب بعض الحكماء أنها تبقى مائة وستين سنة ، ولا يصدق هؤلاء بما يروى من بقاء المعمرين ، فأما أهل الملل فيصدقون بذلك .[1]

إن هذا العمر القصير بالنسبة لعمر الزمن والكواكب والأفلاك والنجوم والكائنات الأخرى أرضية وسماوية آفاقية ، ليستدل من خلال قصره المتواضع : أن الإنسان خلق لحياة أطول ، ولبقاء أقوم ، وإلا فلا تتم الحجة البالغة ، فهذا الإنسان العبقري المبدع ، وهذا العالم الرائد ، وذلك المكتشف البارع ، وذلك الموجه النابغ ، ما إن يبلغ مرحلة من التكامل العقلي والعلمي حتى يدهمه الموت المبيد ، كلا فقد أريد بالإنسان غير هذا ، إنه يطوي هذه الفترة العجلى في سرائها وضرائها ليطل بروحه وبدنه على عالم أرقى ، وحياة أخرى تتسم بالبقاء الأبدي ، لتجزى كل نفس بما كسبت ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، بل المستفاد من جملة الروايات أن المرء يبشر وهو في قبره ، بل وعند موته إن كان من المؤمنين بما له من عظيم الأزدلاف عند الله تعالى ، فقد أورد السيوطي فيما أخرج القاسم بن مندة في كتاب الأحوال والإيمان فيما سأل به سلمان (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله :

(إن أول ما يبشر به المؤمن عند الوفاة بروح وريحان وجنة ونعيم ، وإن أول ما يبشر به المؤمن في قبره أن يقال : إبشر برضا الله والجنة ، قدمت خير مقدم ، تدعو لمن شيعك إلى قبرك ، وصدق من شهد لك ، واستجاب لمن استغفر لك)[2] والعكس بالعكس بالنسبة لغير المؤمنين كما مضى وكما سيأتي .

ج ـ **الموت الجماعي** : وأما الموت الجماعي فهو الموت الذي يكون نتيجة

---

(١) ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة ٥/ ١٣٣ .

(٢) أورده الطباطبائي / الميزان ١٩/ ١٤٢ .

كوارث طبيعية أو حربية أو انفجارات ذرية ، أو الموت الذي يكون عن غضب من الله تعالى ، وهو المعبّر عنه بعذاب الاستئصال ، وذلك إذا كفرت الأمم بالله ورسله ، وطغت في الأرض ، فيحقّ عليها العذاب ، كما حدث في الأمم الغابرة والسابقة .

د ـ نبأ الذين سبقوا : قال تعالى **﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ﴾** [1] أما قوم نوح فأهلكوا بالطوفان العالمي الشامل ، قال تعالى : **﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾** [2] .

وهنا تلمح القدرة الإلهية الجبارة في اختيار هذا العذاب الجديد على الكرة الأرضية ، فالسماء بفتحها مبدعها أبواباً بالماء المنهمر الطاغي ، وقد نكّر القرآن الماء ليستدل بها على كثرته وغزارته وعدم الإحاطة به فلا أداة للتعريف ولا للاستغراق ولا للعهد فهو ماء جديد بكل أبعاده الزاخرة الهادرة ، وهو ماء جديد بشدة نزوله وسقوطه من خلال تلك الأبواب ، والسماء في هذا كلها أبواب تنهمر بماء لا أول له ولا آخر إلى أن يأذن الله ، والأرض بعد هذا كل الأرض تتفجر عيوناً عارمة عاتية متلاطمة ، وما يوحيه التفجير من الأصوات الهائلة والتدافع الشديد الطاغي ، فيلتقي ماء السماء المنهمر ، بماء الأرض المتتابع تفجيراً ، لينقلب الكون في الأرض إلى محيط واحد هادر غير مستقر من الأمواج الصاخبة الكبيرة بل المتناهية في الكبر

---

(١) سورة إبراهيم / ٩ .

(٢) سورة القمر / ١١-١٢ .

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [1] وإذا كان تشبيه الموج وحده بالجبال كبراً وعظمة وتلاطماً فما ظنك بالماء كله بمثل هذا المناخ المرعب العسير، والأفق المكفهرّ الرهيب .

بعد هذا الكرب العظيم، واستئصال قوم نوح من الكافرين، تؤكد العناية الإلهية نجاة نوح ﷺ ومن آمن معه: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾ [2] وحينما تتم الإرادة الإلهية بإغراق الطواغيت بهذا الشكل الفظيع، صدر الأمر الفوري الإعجازي العجيب بإنهاء هذه المشاهد بما فيها من الاستئصال، وتصادم الجثث، وتلاشي آثار الظالمين، وذلك بإنهاء عوالم المياه المتفجرة، وإغلاق أبواب السماء المنهمرة، وإختفاء معالم التدمير والإنتقام، لتبدأ الحياة مسيرتها الحضارية من جديد، فيمن حمل نوح من الناجين، وما حمل من الكائنات الحية والنامية، فيقول تعالى، وقوله الحق: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [3] .

وللبلاغيين في هذه الآية مباحث بيانية طريفة ليس هنا موضع إيرادها، إلا أننا نشير أن هذه النهاية لم تكن نهاية طبيعية لمشاهد هذا الطوفان العالمي الشامل، بل هو نهاية إعجازية لمن تأمل في أبعاد الآية بلاغياً، فقد صدر النداء للأرض بأن تبتلع الماء، وللسماء بالإقلاع، وفجأة وبلحظة زمنية محددة جداً ولعلها أسرع من لمح البصر انتهى كل شيء وغيض الماء، وقضي

---

(١) سورة هود / ٤٢ .

(٢) سورة الشعراء / ١١٩-١٢٠ .

(٣) سورة هود / ٤٤ .

الأمر جميعه ، واستوت سفينة نوح ﷺ على الجودي سالمة شامخة لا أثر فيها للعطب بما يوحيه تمام معنى الاستواء ، ثم صدر النداء الختامي للمشهد : بعداً للقوم الظالمين .

وفي هذه الواقعة الهائلة دروسٌ قاسيةٌ وعبرة من التعليم المستمر في الفطنة والأعتبار ، وقوة التأثير مما أفادت به البشرية المؤمنة في مستقبل حياتها الهادفة ، وإلا فقد كان بإمكان الله تعالى أن يغرق قوم نوح جميعاً في جدول صغير من الماء يتساقطون فيه كما يتساقط الفراش في النار ، إلا أن حكمته البالغة إقتضت هذه الشدة المؤدّبة الصارمة ، فتعالى الله .

ولك أن تقف أمام سلامة نوح وجماعته فيما يختصره القرآن من البيان ، ولك أن تقف خاشعاً خاضعاً مستعبراً على سلام الله على نوح في العالمين ، وهو أول إنسان سلم عليه في العالمين وآخر إنسان أيضاً ، وتلك كرامة إختصّ بها نوح لصبره وجلالته وإطمئنانه لأمر الله ، بعد مكابدة ومجاهدة في مئات السنين من الدعوة والإصلاح والجهاد في سبيل الله ، وحسبه في هذا أنه (شيخ المرسلين) . قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ نادانا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ * وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعالَمِينَ * إِنّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [1] .

عاد وثمود ، وأصحاب نبي الله هود وهم عاد ، وقد يعبر عنها بعاد الأولى ، وأصحاب نبي الله صالح هم ثمود ، وأشار الله إلى التسمية والإهلاك بقوله تعالى : ﴿ **وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عاداً الأُولى * وَثَمُودَ فَما أَبْقى** ﴾ [2]

---

(١) سورة الصافات / ٧٥-٨١ .

(٢) سورة النجم / ٥٠-٥١ .

أما عاد قوم هود عليه السلام فقد كذبوا بنبيهم، واستهزؤوا بآيات الله، وطغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، وأصرّوا على الكفر والتكذيب فأهلكوا بريح صرصر عاتية، قال تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ * تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ**﴾[1].

واستمر هذا العذاب المقلق والشديد في الهبوب والإقتلاع وتدمير الديار، وتقويض المرافق والممتلكات، وحصد النفوس المجرمة.

أقول: استمر سبع ليال وثمانية أيام حسوماً، حتى استئصلوا جميعاً، ولم يبق منهم نافخُ رماد على الأرض، فهم صرعى بأجسامهم وهياكلهم كأنهم أعجاز نخل خاوية، وهو قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ**﴾[2].

وأما ثمود قوم صالح ﷺ، فقد تمادوا في تكذيب نبي الله وآياته، وعاثوا في الأرض فساداً، ولم يرقبوا الله العظيم، وعقروا الناقة التي جعلها لهم آية، وسقاهم مما في بطنها وحلبها ما يشربون ويدخرون إلى حين، فأهلكهم الله بالصيحة، ونجّى صالحاً والذين آمنوا برحمة منه، ومن خزي ذلك اليوم. قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾[3]

---

(١) سورة القمر / ١٨-٢٠.

(٢) سورة الحاقة / ٨٦.

(٣) سورة هود / ٦٥-٦٦.

وكـانوا قـد استحبوا العمـى على الـهدى ، وألفـوا الغـي دون الرشـاد ، فكانت الصاعقة بعذاب الهون ، ولا مانع أن تكـون هنـا صيحـة وصاعقـة ، أو أن يكـون أحدهمـا هــو الآخـر ، قـال تعـالى : ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ (١) .

وأصـاب عـذاب الاستئصال قـوم لـوط ، وهــم أصحـاب المؤتفكـات ، والفاحشة الشنعاء ، وقد نزل بهم العذاب المدّمر الذي لا زالت آثاره قائمة فـي مواطنهم شرقي الأردن ، وذلك لعملهم القبائح والخبائث في جرائم خلقيه لا تسامح لقانون السماء معها ، قال تعالى : ﴿ **وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ** ﴾ (٢) .

فما إستمعوا لهذا الإنكار ، ولا إتعظوا بالنصح الكريـم ، ولا أقلعـوا عـن الجـرم الفظيـع ، فأمطرهم الله بحجـارة مـن سجيل ، ومـا هـي عـن الظـالمين ببعيد ، تحذيراً لمن يعمل عملـهم بنـص القـرآن الحكيـم ، قـال تعـالى : ﴿ **فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ** ﴾ (٣) .

وأصـاب عـذاب الاستئصال قــوم شـعيب ﷺ ، وكـانوا قومـاً يعبـدون الأصنام والأوثان ولا يؤمنون بالله ، وقد منّ الله عليهم بالخير الكثـير ، وهـم يبخسون الكيل ويخسـرون الميزان ، ويفسـدون فـي الأرض بعـد إصلاحـها ،

---

(١) سورة فصلت / ١٧ .

(٢) سورة الأعراف / ٨٠-٨١ .

(٣) سورة هود / ٨٢-٨٣ .

وهم أصحاب الأيكة فيما يبدو، وقيل إن أهل مدين جيل، وأصحاب الأيكة جيل آخر، أرسل لهما شعيب على التعاقب، والأول أظهر بحسب القرآن، قال تعالى حاكياً قصتهم: **﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ * وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ * قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**[1].

ويبين سبحانه ملحظ عذاب الاستئصال لقوم شعيب ونجاة شعيب ومن معه في موضعين، الأول قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾**[2].

والثاني قوله تعالى: **﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾**[3].

وشمل عذاب الاستئصال قروناً آخرين كفرعون وآل فرعون حينما كذبوا كفروا وكذبوا بآيات الله ورسالة موسى وهارون، وجحدوا

---

(١) سورة الشعراء / ١٧٦-١٩٠ .

(٢) سورة هود / ٩٤-٩٥ .

(٣) سورة الأعراف / ٩١-٩٢ .

واستكبروا استكباراً متطاولاً منه من الجبروت والطاغوتية ما تحدث عنه القرآن العظيم تفصيلاً، فانتقم الله منهم، وأغرقهم في البحر، بل أطبقه عليهم جميعاً، فليس منهم إلا آثارهم الدالة عليهم، قال تعالى: **﴿فَأَغْرَقْناهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَفروا بِآياتِنا وَكانُوا عَنْها غافِلِينَ﴾**[1].

فقد أوحى الله سبحانه إلى نبيه موسى بعاقبة هؤلاء، وحدّد مصيرهم بالغرق الاستيعابي، وتركهم الجنات والعيون والزروع والمقام الكريم، والنعمة التي كانوا فيها فاكهين وأورثها قوماً آخرين، فأمر بادئ ذي بدء بالمسير ليلاً لدى السكوت والصمت كما أنبأه بأنهم مُتَّبعونَ من قبل فرعون وجنوده، قال تعالى: **﴿فَأَسْرِ بِعِبادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ * وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ * كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ * كَذلِكَ وَأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ﴾**[2].

واستأصل الله تعالى شأفة أصحاب الفيل، حينما قصدوا بيته الحرام والكعبة المشرفة لتدميرهما، فقضى الله عليهم قضاءً مبرماً، وأصبح حدثهم فيما بعد حديث الوارد والشارد، وعظم البيت الحرام في عيون الجاهلين والعرب أجمعين، لأن من قصده لتخريبه أصيب بانتقام عاجل قريب ليس من جنس ما يعرفون، ولا من سنخ ما يتوقعون، قال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾**[3].

---

(١) سورة الأعراف / ١٣٦ .

(٢) سورة الدخان / ٢٣-٢٨ .

(٣) سورة الفيل / ١-٥ .

كان هذا القضاء الإلهي مقترناً بولادة منقذ البشرية من العمى والضلال رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم من فكان ذلك الوهج اللامع الذي اختفت به معالم الجاهلية والفوضى والتبعية والإشراك ليقوم الدين الحنيف بدوره الجديد في التحرير والتنوير وحماية الإنسان .

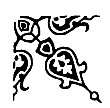
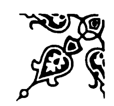
وتكريماً لأمة محمد صلى الله عليه وآله ببركة نبيه وأهل البيت وخلّص الأصحاب فلا عذاب استئصال عليهم إعظاماً لقدر نبيه ، ما دام بين أمته ، وما دام استغفار الأمة متواصلاً بغفران الذنوب ، ورفع الدرجات ، قال تعالى : ﴿ **وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾[1] .

وهذا خاص بأمة محمد ما دام محمد فيهم ، وما دام الاستغفار دأبهم ، فإذا امتنعوا عن الاستغفار وتمادوا بالمعاصي ، فلله الأمر في عذابهم مستقبلياً ، فلربما تعرضوا لنوع من هذا العذاب في آخر الزمان كما عليه الروايات وتفسير جملة من النصوص القرآنية ، والله أعلم .

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الأنفال / ٣٣ .

(الفصل السادس)

(حياة البرزخ)

١- البداية الأولى.
٢- من ظلمات الأرحام إلى ظلمات القبور.
٣- عوالم القبر البرزخية.
٤- الحفظة والتعدد في الإماتة والإحياء.
٥- من مشاهد البرزخ والاستدلال عليه.
٦- حياة البرزخ في مجموعة من الأحكام.
٧- البرزخ يطلّ على عالم الآخرة.
٨- قصيدة المؤلف في المبدأ والمعاد.






١- البداية الأولى

وتبدأ حياة البرزخ فيما يبدو عند انتهاء الأجل، فإذا تمت عملية الموت كانت حياة البرزخ، وهي الحياة المتوسطة بين الدنيا والآخرة، فالروح تنفصل عن الجسد، ولكن هناك شبه علاقة قائمة بينهما لم تنته بعد، بل هناك تعلق، من قبل الروح عند الموت وحواليه في عالم الأشباح ودنيا الأرواح.

قال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[1] فهو في عالم الموت يطلب العودة إلى الدنيا، عسى أن يعمل صالحاً فيما مضى، ومعنى هذا أن حياته الدنيا قد انتهت وبدأت حياته الأخرى في دنيا جديدة تتوسط العالمين الدنيوي والأخروي دون شك بحسب إضاءات القرآن الحكيم، وهو بعد هذا يطلب الرجعة والعودة إلى دنياه الأولى، ولكن لا يستجاب له، ولا يستمع إليه، لأنها كلمة هو قائلها فلا يُعبأ بها، إذ الكلمة حينئذ لله وحده لا للإنسان المتوفى، وهذا الكلام بين العبد وربه، أو بين العبد وملائكة الله لا تُدرى كيفيته، ولا تُعرف هيئته، فهل هو من جنس كلامنا، أو هو من الرموز المجهولة الآن عندنا، والمعلومة غداً بإذن الله، أو هو لسان الحال في المكاشفة ولدى المعاينة ورفع الحجاب من حول الإنسان، أو هو مزيج ذلك في مراحل متعددة وحالات مرحلية

---

(١) سورة المؤمنون / ٩٩-١٠٠.

متعاقبة، هذا ما يعلمه الله والراسخون في العلم من الأنبياء والأوصياء والصّديقين، ولكنه دون ريب واقع لا محالة، والمحيطون بالمتوفى لا يعرفونه ولا يدركونه بل ولا يحسونه على الإطلاق، وليس بالإمكان الاستماع إليه لأنه من شأن الميت لا من شؤونهم، فهذا المسجّى بين سكرات الموت ومعاينة الملائكة، وهو في ظل غمار عالم جديد يخوضه بأدق معاني هذه الكلمة، فلا يلتفت إلى من حوله لأنه في شغل شاغل من نفسه، والحاضرون عنده مشغولون به، ولا يعلمون ما يدور في الأفق القائم من خطاب وبلاغ إلا في مقام العلم الإجمالي لمن سبق إلى الموضوع قراءة وبحثاً وتمحيصاً، أما دقائق الأحداث الجارية فعلمها حينذاك عند الله سبحانه وعند ملائكته الأكرمين.

قال الطباطبائي في ضوء آية البرزخ ﴿وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ﴾[1].

البرزخ هو الحاجز بين الشيئين كما في قوله ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾[2] والمراد بكونه وراءهم كونه أمامهم محيطاً بهم، وسمي وراءهم بعناية أنه يطلبهم، كما أن مستقبل الزمان أمام الإنسان، ويقال وراءك كذا بعناية أن الزمان يطلب الإنسان ليمر عليه، وهذا معنى قول بعضهم: أن في (وراء) معنى الإحاطة قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾[3] والمراد بهذا البرزخ عالم القبر، وهو عالم المثال الذي يعيش فيه الإنسان بعد موته إلى قيام الساعة على ما يعطيه السياق، وتدل عليه آيات أخر)[4].

ومعنى هذا أن البرزخ يبدأ عند الموت، وينتهي يوم القيامة حينما يقوم

---

(١) سورة المؤمنون / ١٠٠.

(٢) سورة الرحمن / ٢٠.

(٣) سورة الكهف / ٧٩.

(٤) الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ١٥/ ٦٨.

الناس لرب العالمين، وذلك يوم الحساب والجزاء، ويدلّ عليه ما استخرجه الطبرسي من دلالة الآية استخراجاً جميلاً حينما قال: (وفي الآية دلالة على أن أحداً لا يموت حتى يعرف منزله عنه الله اضطراراً، وأنه من أهل الثواب أو العقاب)[1] .

والذي يؤيد هذا الاتجاه الذي نذهب إليه ما في تفسير القمي عن سويد بن غفلة عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: (إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من الآخرة، مثل له ماله وولده وعمله، فيلتفت إلى ماله فيقول: إني كنت عليك لحريصاً شحيحاً، فمالي عندك؟ فيقول: خذ مني كفنك ،ثم يلتفت إلى ولده فيقول: والله إني كنت لكم محباً، وإني كنت عليكم لحامياً، فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤديك إلى حفرتك ونواريك فيها ،ثم يلتفت إلى عمله فيقول: والله إني كنت فيك لزاهداً، وإنك عليَّ لثقيلٌ، فما عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك، يوم حشرك، حتىأعرض أنا وأنت على ربّك، فإن كان لله وليّاً، أتاه أطيب الناس ريحاً، وأحسنهم منظراً، وأزينهم رياشاً، فيقول: إبشر بروح من الله وريحان وجنة نعيم، قد قدمت خير مقدم، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، وارتحل من الدنيا إلى الجنة، وإنه ليعرف غاسله، ويناشد حامله أن يعجله، فإذا دخل قبره أتاه ملكان وهما فتّانا القبر، يجرّان أشعارهما، ويجرّان الأرض بأنيابهم، وأصواتهما كالرعد القاصف، فيقولان له: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فيقول: الله ربي، ومحمد نبيي، والإسلام ديني، فيقولان: ثبتك الله فيما تحب وترضى، وهو قول الله ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ**

---

(١) الطبرسي / مجمع البيان ٤/ ١١٨ .

آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾[1] .

فيفسحان له في قبره مدّ البصر، ويفتحان له باباً من الجنة، ويقولان: نم قرير العين نوم الشباب الناعم ...

وإذا كان لربه عدواً، فإنه يأتيه أقبح خلق الله رياشاً، وأنتنه ريحاً، فيقول له: ابشر بنزل من حميم، وتصلية جحيم، وإنه ليعرف غاسله، ويناشد حامله أن يحبسه، فإذا دخل قبره أتيا ممتحنا القبر، فألقيا عنه أكفانه، ثم قالا له:

من ربّك؟ ومن نبيّك؟ وما دينك؟ فيقول لا أدري، فيقولان له: ما دريت ولا هديت، ثم بشر حال، فيبوء من الضيق مثل ما فيه القنا من الزّج، حتى أن دماغه يخرج من بين ظفره ولحمه، ويسلط الله عليه حيّات الأرض وعقاربها وهوامّها تنهشه حتى يبعثه الله من قبره، وإنه ليتمنى قيام الساعة مما هو فيه من الشر)[2] .

ولعل سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي قدس سره الشريف من أبرز من برع في تصوير حياة البرزخ في مستويات عديدة من إفاضاته العلمية سواء على مستوى الأفتاء فيما يتعلق بأحكام الثقلين والاحتضار وثواب التشييع، أوفى محاضراته في تفسير القرآن العظيم لدى تدريسه له منذ أكثر من أربعين عاماً ليلة الخميس في مسجد الخضراء في النجف الأشرف مما نفتقر إليه اليوم في الحوزة العلمية النجفية.

وقد كان كتابه الخالد (البيان في تفسير القرآن) من ثمرات ذلك الدرس الأكاديمي الهادف، وقد كلّمته أن يواصل تدريس التفسير هذا قبل مرجعيته، فاعتذر بأن واجباته العلمية تحول بينه وبين تحقيق ذلك، إذ لا بدّ من عطلة أسبوعية يستردّ فيها الأنفاس .

❀ ❀ ❀ ❀

---

(١) سورة إبراهيم / ٢٧ .

(٢) أورده الطباطبائي في الميزان ١/ ٣٦٢-٣٦٣ عن تفسير القمي .

٣- من ظلمات الأرحام إلى ظلمات القبور

والمتدبر في القرآن العظيم يجد الخلق المتدرج للإنسان في حياة الأرحام وظلماتها ويجد الحياة الدنيا في تفصيلاتها، ويلمس حياة البرزخ، ويطل على عالم الآخرة بكل أهواله ونتائجه المتفاوتة، في عالم الأرحام ذلك الخلق المتدرج حتى التكامل، وفي الحياة الدنيا: النشأة والترعرع والكيان والإكتمال في التزاوج والرعاية والحقوق والواجبات ومعالم التشريع في. العبادات والمعاملات والعقود والإيقاعات والوصايا والديات والقصاص، ويجد الحياة الآخرة في الوعد والوعيد والبشارة والنذارة والبعث والنشور والحساب والعقاب والثواب والجنة والنار والأعراف، وغير هذا كله، كما يجد البرزخ في صفات هائلة، وإيحاءات دقيقة.

ومما لا شك فيه أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام هو أول من فتق القول في هذا المضمار، نشأة الإنسان في ظلمات الأرحام، متقلباً في أطوار وأدوار كما ترجم ذلك القرآن، وكيف عزف متجبراً ومعرضاً عن كل ما منح من إنعام وإفضال فات الحصر والإحصاء والإحجام في كوكبة متوالية في الأسماع والأبصار والأفئدة، فخبط سادراً، وانحدر نحو ملذاته حتى فجعته المنية بنفسه، وهو بين أحبابه، وذويه، حتى أدرج في أكفانه، وأنزل في حفرته، لنوع من السؤال الغريب، وكيفية من الامتحان الجديد في حياة برزخية لا عهد له بها، ومناشدة جادة لا قبل له على استيعابها، فبهت وتحيّر إلا الذين آمنوا .

يقول ﷺ: (أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام، وشغف الأستار، نطفة دهاقاً، وعلقة محاقاً، وجنيناً وراضعاً، ووليداً ويافعاً، ثم منحه قلباً حافظاً، ولساناً لافظاً، وبصراً لاحظاً، ليفهم معتبراً، ويقصّر مزدجراً، حتى إذا قام اعتداله، واستوى مثاله، نفر مستكبراً، وخبط سادراً، مانحاً في غرب هواه، كادحاً سعياً لدنياه، في لذّات طربه، وبدوات أربه، ثم لا يحتسب رزية، ولا يخشع تقية، فمات في فتنته غريراً، وعاش في هفواته يسيراً، لم يفد عوضاً، ولم يقض مفترضاً، دهمته فجعات المنية في غبر جماحه، وسنن مراحه، فظل سادراً، وبات ساهراً، في غمرات الآلام، وطوارق الأوجاع والأسقام، بين أخ شقيق، ووالد شفيق، وداعية بالويل جزعاً، ولادمة للصدر قلقاً، والمرء في سكرة ملهثه، وغمرة كارثة، وأنّة موجعة، وجذبة مكربة، وسوقة متعبة، ثم أدرج في أكفانه مبلساً، وجذب منقاداً سلساً، ثم ألقي على الأعواد، رجيع وصب، ونضو سقم، تحمله حفدة الولدان، وحشدة الإخوان، إلى دار غربته، ومنقطع زورته، ومفرد وحشته، حتى إذا انصرف المشيع، ورجع المتفجع، أقعد في حفرته نجياً لبهتة السؤال، وعثرة الامتحان)[1].

ولا أعلم نصّاً فنياً، اشتمل على مراحل حياة الإنسان، منذ النطفة، حتى مشاهد الموت وتفصيلات آثاره، إلى حياة البرزخ في جلوسه بملحودته كهذا النص الدقيق في كل جزئياته وملامحه ونبضاته وآثاره، ولا عجب فمصدره رب البيان العربي، وعملاق البلاغة وفن القول.

وحياة البرزخ بأهوالها المجهولة بحدود، والمعلومة بحدود أخرى، حياة

---

(١) ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة للإمام ٦/ ٢٦٩-٢٧٠ .

فاصلة بين عالمين ، فالدنيا بعد لم تنته ، والآخرة بعد لم تقم ، على أن الروايات بملحظ دلالي إرشادي تؤكد قيامة الإنسان عند موته ، من باب انقطاعه عن الدنيا ، كما ورد ذلك عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام :

(من مات قامت قيامته) [1] .

والمأثور الحديثي يقول : (الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا)[2] .

والقرآن العظيم يصرح ، وتصريحه الحقّ ، ويقول وقوله الفصل : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾[3] .

فللشهداء (إذن) حياة برزخية خاصة لهم فيها رزق معلوم لا نعرف حقائقه ، ولا نحيط بتفصيلاته ، إلا أنه من الثوابت التي لا ترد ، ومن الحقائق القائمة الناطقة ، والمتبصر في سياق القرآن يستهدي إلى هذا اللون من الحياة البرزخية الخاصة بالشهداء لدى المقارنة بين آيات القرآن العظيم .



(١) ظ : الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ٢/ ١٠٩ .

(٢) ظ : الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ٢/ ١٠٩ .

(٣) سورة آل عمران / ١٦٩ .



٣- عوالم القبر البرزخية

وإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك فإن العوارض البدنية في عالم القبر سوف تتلاشى في خضم حياة البرزخ الجديدة، فلا مرض ولا عجز، ولا عوارض ذاتية، ولا أثر للطوارئ لأنها ليست بذاتية، والطوارئ لها نهاية، ونهاية ذلك الإنخراط في المناخ الجديد المرعب والمضيء في وقت واحد، فهو مرعب لأعداء الله، وهو مشرق بأولياء الله.

ويصف إمام البلاغة العربية عليٌّ أمير المؤمنين مشهداً مؤثراً من مشاهد ما بعد الموت في حياة القبر البرزخية، فيقول: (سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً سلطت الأرض عليهم فيه، فأكلت من لحومهم، وشربت من دمائهم، فأصبحوا في فجوات قبورهم جماداً لا ينمون، وضماراً لا يوجدون، لا يفزعهم ورود الأهوال، ولا يحزنهم تنكر الأحوال، ولا يجفلون بالرواجف، ولا يأذنون للقواصف، غيباً لا ينتظرون، وشهوداً لا يحضرون، وإنّما كانوا جميعاً فشتتوا، وآلافاً فافترقوا.. جيران لا يستأنسون، وأحباء لا يتزاورون، بكيت بينهم عرا التعارف، وانقطعت أسباب الإخاء، فكلهم وحيد وهم جميع، وبجانب الهجر وهم أخلاء، لا يتعارفون لليل صباحاً، ولا النهار مساءً، أي الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمداً)[١].

إن انفصال الروح عن الجسد لا يعني في المنظور القرآني والحديثي أكثر

---

(١) ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة ١١/ ١٥٠.

من الانتقال من الكائن الحي إلى عوالم رتيبة أخرى ، قد تدخل في حساباتنا الداخلية إيماناً مطلقاً ، وقد تنحسر عن بعض الماديين ، وقد تتجاوب في أعماقنا أصداؤها تسليماً بإعجاز القرآن وإذعاناً لرسالة السماء ، ولكنها قد لا تستقر في نفوس ذوي الريب والانحراف ، إلا أنها تتمكن من ذوي الصفاء الروحي النقي مستقر استقراراً ثابتاً لا يتزلزل .

فقد ورد عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين أنه قال :

(إن القبر إمّا روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران) [1] .

والذي تؤكده الأخبار مستفيضاً ، أو الذي يبدو في قسم كبير منها في الأقل : أن الإنسان عندما يوضع في قبره جسداً ، تقترن به الروح هناك مؤقتاً ، فيحاسب حساباً إجمالياً يلزم فيه المرء طائره في عنقه فيما عمل في الدنيا خيراً أو شراً ، فإذا قامت القيامة ، كان الحساب التفصيلي ، ووضع كتابه منشوراً بين يديه ، كما ينطق بذلك القرآن الحكيم : **﴿وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً﴾**[2] .

فإلزام الطائر في العنق يكون في عالم القبر وحياة البرزخ ، وإخراج الكتاب المنشور يكون يوم تقوم الساعة .

وهناك ملحظ جدير بالأهمية في حياة القبر بالمساءلة والمحاسبة يلخصه ما جاء في (منتخب البصائر) عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر الإمام محمد الباقر ﷺ أنه قال : (لا يسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً ، أو محض الكفر محضاً ، فقلت له : فسائر الناس ؟ فقال : يلهى عنهم) [3] .

---

(١) الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ٢/ ١٠٩ .

(٢) سورة الإسراء / ١٣ .

(٣) أورده الطباطبائي / الميزان ١/ ٣٦٣ .

ومهما يكن من أمر فإن المحاسبة الأولية بصورة مثالية واقعة في القبر عموما أو خصوصا، لا شك في هذا، وقد ورد أن سؤال الملكين (منكر ونكير) في القبر حق، نعم هناك استثناء من هذه القاعدة بوسائط ووسائل أخرى تتحدث عنها جملة من الروايات، وقد وردت الرواية المعتبرة باستحباب تلقين الانصراف لأنه يمنع من سؤال منكر ونكير، كما عليه الفتوى[1].

وهذا التلقين مخصوص بالإقرار بالشهادتين والعوالم الغيبية وولاية الأئمة الطاهرين، والمعتقدات بأصول الدين.

قال الإمام أبو جعفر محمد الباقر ﷺ: (فإنه إذا فعل ذلك، قال أحد الملكين لصاحبه، قد كفينا الوصول إليه، ومسألتنا إياه، فإنه قد لقن حجته، فينصرفان عنه، ولا يدخلان عليه)[2].

بل واستجاب التلقين عند إدخاله القبر، مما يعني استقباله لحياة جديدة، يستمع الميت إلى ما يتلى عليه ويفيد منه، وله آداب وصور في التصويت عند أذنه، وفي تحريك كتفه شديدا، وقد وردت كيفيته في عدة روايات، من أخصرها ما عن الإمام الصادق ﷺ: أن يخاطب الميت يا فلان بن فلان إذا سئلت، فقل: الله ربي، ومحمد نبيي، والإسلام ديني، والقرآن كتابي، وعلي إمامي، حتى تسوق الأئمة عليهم السلام، ثم يعيد عليه السؤال، وتقول: أفهمت يا فلان؟ فإنه يجيب ويقول: نعم)[3].

أما كيفية هذا السماع، وكيفية هذه الإجابة فهي من مختصات الله

---

(١) ظ: الطباطبائي اليزدي / العروة الوثقى ١/ ٧٣، تعليق الإمام الخوئي (قده).

(٢) الحر العاملي / وسائل الشيعة ١/ ٨٦٣.

(٣) الحر العاملي / وسائل الشيعة ١/ ٨٤٧.

والراسخين في العلم، ولكنها عالم مثالي لا ريب فيه .

بل وقبل هذين الموضعين، هنالك تلقين عند الموت بكلمات الفرج، وقد حكى السيد الحكيم قدس سره الشريف: الإجماع على استحبابه من خلال صحيحة زرارة بن أعين، عنه ﷺ .

(إذا أدركت الرجل عند النزع فلقنه كلمات الفرج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان الله رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع، وما فيهن، وما بينهن، ورب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين) [١] .

إن استحباب تلقين الميت ثلاث مرات: عند الموت، وعند القبر، وبعد انصراف المشيعين من الدفن، يوحي بصحة هذا الاتجاه في حياة البرزخ، ووجود العلاقة القائمة بين الروح والجسد إيحاءً كبيراً، لأنه مقترن بفتاوى علماء المسلمين، ومنشأ ذلك الروايات الصحيحة التي تفيد هذه الأحكام .

وفي باب استحباب وضع الميت دون القبر، ونقله مرتين قريباً منه، ودفنه بالثالثة، دليل على إحساس الميت بما يدور حوله، واقتران بحياة برزخية من نوع خاص، فعن الإمام الصادق ﷺ : (إذا جئت بالميت إلى قبره فلا تفدحه به، ولكن ضعه دون قبره بذراعين أو ثلاثة أذرع، ودعه حتى يتأهب للقبر ولا تفدحه به) [٢] .

قال الصدوق: وفي حديث آخر: إذا أتيت بالميت فلا تفدح به القبر، فإن للقبر أهوالاً عظيمة، وتعوّذ من هول المطلع، ولكن ضعه قرب شفير

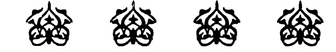
---

(١) السيد محسن الحكيم / مستمسك العروة الوثقى ٤/ ١٩ .

(٢) الحر العاملي / وسائل الشيعة ١/ ٨٣٨ .

القبر ، واصبر عليه هنيئة ، ثم قدمه قليلا واصبر عليه ليأخذ أهبته ، ثم قدمه إلى شفير القبر)[1] .

وأخذ الأهبة -هنا- للقبر تعني الاستعداد لأهواله ومطلعه وسؤال الملكين .



(١) الحر العاملي / وسائل الشيعة ١/ ٨٣٨ .

٤- الحفظة والتعدد في الإماتة والإحياء

وإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك، فهناك نوع من الحياة مجهولة في جملة من أبعادها، ولكنها معلومة في أبعاد أخرى، هذه الحياة مثالية روحية مجردة، والتحقيق الدقيق فيما هو ثابت منها ومعلوم أن النظر في قوله تعالى: **﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾**[1]. ينحسر عن عدة ظواهر روحية تنتهي إلى القول بحياة البرزخ، فهؤلاء الحفظة هم الملائكة، لا شك في هذا، ووصف هؤلاء الملائكة بكونهم حافظين يوحي بحفظ وخزن وتسجيل أعمال الإنسان، وهذا الحفظ مخصص بالكتابة وموصوف بلاها، فهم كاتبون، وهم من ذوي المنزلة العليا والكرامة عند الله، بحيث أنه تعالى منحهم من العلم الخارق ما يميزون به أفعال هذا الإنسان خيراً أو شراً، فهم يحيطون به، ويدونون عليه أو له السيئة والحسنة، ولا بيان لعدة هؤلاء، ولكن قوله **تعالى ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾**[2] يصرح بأن على كل إنسان ملكين عن اليمين وعن الشمال. وتصف الروايات ملك اليمين بأنه كاتب الحسنات، وتصف ملك الشمال بأنه كاتب السيئات، بل وقد يستفاد من الروايات أن هناك ملكين صباحاً وملكين مساءً، كما عن سعد السعود بأنهما

---

(١) سورة الانفطار / ١٠-١٢ .

(٢) سورة ق / ١٧ .

(يعني الملكين الموكلين بأعمال الإنسان) يأتيان المؤمن عند حضوره صلاة الفجر، فإذا هبطا صعد الملكان الموكلان بالليل، فإذا غربت الشمس نزل إليه الموكلان بكتابة الليل، ويصعد الملكان الكاتبان بالنهار بديوانه إلى الله عز وجل، فلا يزال ذلك دأبهم إلى وقت حضور أجله، فإذا حضر أجله، قالا للرجل الصالح: جزاك الله من صاحب عنّا خيراً، فكم من عمل صالح أريتناه، وكم من قول حسن أسمعتناه، وكم من مجلس خير أحضرتناه، فنحن اليوم على ما تحبّه، وشفعاء إلى ربك، وإن كان عاصياً قالا له: جزاك الله من صاحب عنّا شراً، فلقد كنت تؤذينا، فكم من عمل سيء أريتناه، وكم من قول سيء أسمعتناه، وكم من مجلس سوء أحضرتناه، فنحن اليوم لك على ما تكره، وشهيدان عند ربك)[1].

هذا الحضور الفعلي المجرد، يختص به الإنسان عند الاحتضار في بداية المسيرة البرزخية التي تبدأ عند الموت مشاهدة ومعاينة لدى الميت فهو في عالم، ومن حوله في عالم آخر.

وعلى هذا فالنظر الناقد الفاحص الخبير في قوله تعالى حاكياً:

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾[2].

يثبت بلا شبهة أن هناك إماتتين وإحياءين، إماتة في الدنيا، وإحياء في البرزخ، وإماتة في البرزخ، وإحياء يوم القيامة، وهو ما يوحي به النص القرآني العظيم.

قال الطبرسي بالنسبة لهذا الإحياء وتلك الإماتة:

---

(١) ظ: الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ٢٠/ ٢٢٨.

(٢) سورة غافر / ١١.

اختلف في معناه على وجوه :

أحدها (أن الإماتة الأولى في الدنيا بعد الحياة، والثانية في القبر قبل البعث، والإحياء الآتي في القبر للمساءلة، والثاني في الحشر عن السّدي، وهو اختيار البلخي.

ثانيها : أن الإماتة الأولى حال كونهم نطفاً فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة الثانية، ثم أحياهم للبعث، فهاتان حياتان وموتتان ...

ثالثها : أن الحياة الأولى في الدنيا ، والثانية في القبر، ولم يرد الحياة يوم القيامة، والموتة الأولى في الدنيا، والثانية في القبر عن الجبائي .[1].



---

(١) الطبرسي / مجمع البيان ٤/ ٥١٦ .

٥- من مشاهد البرزخ والاستدلال عليه

إن عبارة ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [١] وهي صادرة من قبل الكافر أو الظالم أو الفاسق أو الضال، توحي بمكالمة مثالية عند الموت بين المرء هذا والملائكة، ولكن طلب الرجوع لا يلتفت إليه، إذ حلّ في عالم جديد، وكلمته هذه كلمة عابرة تبددها أشباح الرياح فهو سيموت ولا يرجع، ومن ورائه ووراء الناس أجمعين ذلك البرزخ الموعود كما في تمام الآية، وهو بالضرورة سيطلّ بهم جميعاً على عالم ثالث هو عالم القيامة، وهو يسير بهم سيراً حثيثاً إلى ذلك اليوم المشهود شاؤوا أم أبوا، وإنهم ليظنون هذه الآماد والآباد يوماً أو بعض يوم، ولكنه يوم البعث المرتقب.

ويمكن استنباط حياة البرزخ واضحة من خلال قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[٢].

فالعرض على النار في حياة القبر البرزخية، إذ لا غداة ولا عشي يوم القيامة، أمّا هم في القيامة فيؤمر بهم بالدخول في أشد العذاب، فسوء العذاب في العرض صباحاً ومساءً على النار، ويكون هذا عذاباً برزخياً، وفي القيامة أشدّ العذاب بدخول النار، وهو ظاهر الدلالة للمتمرس بآيات القرآن الكريم.

---

(١) سورة المؤمنون / ٩٩-١٠٠.

(٢) سورة غافر / ٤٥-٤٦.

وروى الترمذي بإسناده عن ابن عمر ما يؤيد فهمنا لهذه الآية ، قال : قال رسول الله (ص) : إذا مات الميت عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، فإن كان من أهل الجنة ، فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار ، فمن أهل النار ، ثم يقال :

هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة [1] .

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

(فإنكم لو عاينتم ما قد عاين من مات قبلكم ، لجزعتم ووهلتم ، وسمعتم وأطعتم ، ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا ، وقريب ما يطرح الحجاب) [2] .

وهذا التهويل الدقيق تنطق به الروايات الصادعة مما يدعو إلى التأمل في تلك الحياة الهائلة بنوازلها ، العجيبة في أحكامها ، السافرة في مشاهدها .

عن البّراء بن عازب عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال عن الميت في قبره بأنه : يأتيه ملكان يجلسانه ثم يذكر أنهما : يسألانه ، فإن أجاب بحق ، فتح له باب إلى الجنة ، فيأتيه من روحها وطيبها ، وإلا فتح له باب إلى النار ، فيأتيه من حرّها وسمومّها . [3]

ويؤيد هذا الحديث ما روي بالإسناد عن زرارة وحمران ابني أعين ومحمد بن مسلم عن الإمامين السندين محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام أنهما قالا :

(إذا وضع الرجل في قبره أتاه ملكان ، مَلَكٌ عن يمينه ، ومَلَكٌ عن

---

(١) الترمذي / سنن الترمذي ٣/ ٣٨٤ .

(٢) ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة ١/ ٢٩٨ .

(٣) ابن حنبل / مسند أحمد ٤/ ٢٨٦ + المتقي الهندي / كنز العمال ١٥/ ٦٢٦ .

شماله، وأقيم الشيطان بين يديه ... فيقال له: ما تقول في الرجل الذي خرج بين ظهرانيكم يزعم أنه رسول الله؟ فيفزع لذلك فزعة، فيقول إن كان مؤمناً: محمد رسول الله، فيقال عند ذلك: نم نومة لا حلم فيها، ويفسح له في قبره تسعة أذرع، ويرى مقعده من الجنة، وهو قول الله: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ [1].

وإن كان كافراً، قالوا من هذا الرجل الذي كان بين ظهرانيكم يقول: إنه رسول الله؟ فيقول ما أدري! فيخلى بينه وبين الشيطان) [2].

ويتحدث الإمام أبو عبد الله الصادق عن فروع الدين في المساءلة عنها في حياة البرزخ، وهي مسألة لاحقة عن مساءلة الميت عن أصول الدين، مما يوحي بأن سؤال الملكين وحسابهما الأولي في القبر يشمل الأصول والفروع معاً، يقول الإمام كما في الرواية: (إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه، والزكاة عن يساره، والبر مظلل عليه، ويتنحى الصبر ناحية، قال: فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته، قال الصبر للصلاة والزكاة والبرّ دونكم صاحبكم فإن عجزتم عنه فأنا دونه)[3].

وقد توحي الرواية بأن المؤمن معروف لدى الملكين فلا يسألانه عن الأصول، وإنما يتعقّبان أداء الفروع.

وفي رواية أخرى تكون المساءلة عن الفروع في جانب، والمساءلة عن ولاية أهل البيت في جانب، كما ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

(يسأل الميت في قبره عن خمس: عن صلاته وزكاته وحجه وصيامه

---

(١) سورة إبراهيم / ٢٧ .

(٢) العياشي / تفسير العياشي / تفسيره للآية أعلاه .

(٣) الصدوق / ثواب الأعمال / ٢٠٣ .

وولايته إيانا أهل البيت، فتقول الولاية من جانب القبر للأربع: ما دخل فيكن من نقص فعلي تمامه)[1].

يقول شيخ الفقهاء الشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي المالكي (ت١٢٢٨هـ):

(ومما يدل على بقاء حياتهم في قبورهم، ما دلّ أن الميت بعدما يسأل، يفتح له باب إلى الجنة، إن كان من أهل الخير، أو إلى النار إن كان من أهل الشر، وبقاء اللذات والألم ظاهر في بقاء أثر الحياة)[2].

وفي قوله تعالى: **﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾**[3]. دلالة أن هناك نوعاً من الحياة الخاصة بالشهداء عند الله تعالى كما تقدم في تفصيل ذلك، حتى أنه لا يصح إطلاق الأموات على الشهداء بخاصة، فهم ليسوا بأموات بمعنى فنائهم، بل هم أحياء ولكن الحواس القاصرة لا تدرك هذا الإحياء يقول صاحب الميزان:

(إن الآية دالة على الحياة البرزخية، وهي المسماة بعالم القبر، العالم المتوسط بين الموت والقيامة، ينعم فيه الميت أو يعذب حتى تقوم القيامة)[4].

بل هناك ما هو أعظم دلالة، وأقوى حجة، وأتم استدلالاً، وهو حديث القبر عن نفسه، بما ورد عن الإمام الصادق ﷺ:

(إن للقبر كلاماً في كل يوم يقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود، أنا القبر، أنا روضة من رياض الجنة وحفرة من حفر النار)[5].

❀ ❀ ❀ ❀

---

(١) الكليني / الكافي ٣/ ٢٤١ / طبع مكتبة الصدوق / ط .

(٢) كاشف الغطاء / منهج الرشاد / ١٣٧/ طبع النجف الأشرف .

(٣) سورة البقرة / ١٥٤ .

(٤) الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ١/ ٣٤٩ .

(٥) الكليني / الكافي ٣/ ٢٤٢ .

٦- حياة البرزخ في مجموعة من الأحكام

في ضوء ما تقدم كله ، تبدو لنا حياة البرزخ حياة خاصة مجردة عن المادة ، فهي ليس من جنس ما نعرف بالضبط ، وهي ليس من سنخ ما ندرك بالحواس ، ويؤيد هذا أن جملة من الأحكام الشرعية تقدم بعضها ويأتي بعضها الآخر ، تشير إلى حياة مثلى ، من أبرزها خصائص الدفن في وادي السلام في النجف الأشرف عند أمير المؤمنين ، منذ عهد مبكر تشير إليه قصة نقل جثمان الصحابي اليماني المعروف بصافي صفا في عصر خلافة أمير المؤمنين ودفنه في النجف لما سمعه من رسول الله (ص) أنه قال : يدفن فيها رجل يشفع بقدر ربيعة ومضر ، ومن خصائص هذا الدفن رفع عذاب البرزخ ، ومحاسبة الملكين .

يقول السيد السيستاني دام ظله الشريف فتوائيا :

(يكره نقل الميت من بلد موته إلى بلد آخر ، إلا للمشاهد المشرفة والمواضع المحترمة فإنه يستحب ، ولا سيما الغري والحائر ، وفي بعض الروايات أن من خواص الأول : إسقاط عذاب القبر ، ومحاسبة منكر ونكير)[1] .

وزيارة الميت عند قبره وهي مستحبة دليل ذلك ، فهو يعلم بها ، ويفرح عندها ، يأنس إليها ، فعن محمد بن مسلم ، قال : قلت لأبي عبد الله ﷺ :

---

(١) السيستاني / منهاج الصالحين ١/ ١١٤ .

الموتى نزورهم؟ قال : نعم ، قلت يعلمون بنا إذا أتيناهم ، فقال : إي والله ، إنهم يعلمون بكم ، ويفرحون بكم ، ويستأنسون إليكم[1] .

وهناك السلام على أهل القبور وهو من السنن ، فعن عبد الله بن سنان ، قال : قلت للإمام الصادقﷺ : كيف التسليم على أهل القبور؟ فقال : نعم ، تقول : (السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، أنتم لنا فرط ، ونحن إن شاء الله بكم لاحقون) [2] .

وما يعمله الإنسان لأبويه وأرحامه وإخوانه من المبرات والصدقات والصلاة والصيام والحج وقراءة القرآن ، فإن ثوابه يصل إلى الميت ، ويثاب عليه الحي .

فعن الإمام الصادق (ع) إن الميت ليفرح بالترحم عليه ، والإستغفار له ، كما يفرح الحي بالهدية التي تهدى إليه [3] .

وعن الصادق أيضا : (يدخل على الميت في قبره الصلاة والصوم والحج والصدقة والبر والدعاء ، ويكتب أجره للذي يفعله وللميت)[4] .

وعن الصادق أيضا : (من عمل من المسلمين عن ميت عملا صالحا ضاعف الله له أجره ، ونفع به الميت) [5] .

وفي الكافي بإسناده عن إسحاق بن عمار عن أبي إبراهيم الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ، قال : سألته عن الرجل يحج ، فيجعل حجته وعمرته ، أو بعض طوافه لبعض أهله ، وهو غائب في بلد آخر ، قال : قلت :

---

(١) الحر العاملي / وسائل الشيعة ١/ ٨٧٨ .

(٢) الحر العاملي/ وسائل الشيعة ١/ ٨٨٠ .

(٣) المصدر نفسه ١/ ٦٥٥ .

(٤) المصدر نفسه ١/ ٦٥٥ .

(٥) المصدر نفسه ١/ ٦٥٥ .

فينقص ذلك من أجره؟ قال: هي له ولصاحبه، وله أجر سوى ذلك بما وصل، قلت: وهو ميت أيدخل ذلك عليه؟ قال: نعم حتى يكون مسخوطاً عليه فيغفر له، أو يكون مضيقاً عليه فيوسع له، قلت: فيعلم هو في مكانه أنه عمل ذلك لحقه؟ قال: نعم. قلت: وإن كان ناصباً ينفعه ذلك؟ قال: نعم يخفف عنه[1].

وكل هذه الأعمال إنما تصل للميت في عالم البرزخ أما في يوم القيامة، فينقطع العمل، ويبدأ الحساب.

وهذه الظواهر يتقبّلها المؤمنون بالتسليم المطلق، وقد يشكك فيها الجهلة والمَرَدَةُ، إلا أن تكذيب العيان مما وقع من قبل الرسول الأعظم إشارة صريحة إلى البرزخ وبما وقع عن أمير المؤمنين ﷺ في ذلك يشكلان ظاهرة لا يمكن نكرانها، لأنها من الواقع المعاصر الذي شهده المسلمون، فقد جمع النبي(ص) بعد نهاية معركة بدر الكبرى جميع أجساد المشركين، وألقيت في قليب بدر، وهو مما أجمع عليه المؤرخون كافة، وحينما ألقيت تلك الأجساد المقطعة والأجسام المهترئة، وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على شفير القليب، وناداهم بأسمائهم: يا فلان ويا فلان وذكر جملة من أساطين قريش، وقال:

إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقال له أصحابه: يا رسول لله، كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها، فأفهمهم صلى الله عليه وآله وسلم، أنهم: قد سمعوا فقال: لستم أسمع منهم لكنهم لا يتكلمون[2]

ويعضده ما تواتر من زيارة أمير المؤمنين ﷺ للثويّة في ظهر الكوفة

---

(١) أورده الطباطبائي / الميزان ١٩/ ٥٢.

(٢) المجلسي / بحار الأنوار ١٩/ ٣٤٢، ويماثله ما رواه الواقدي في المغازي.

(منطقة الحنانة اليوم في النجف الأشرف) وهي مقبرة المسلمين آنـذاك، وفيـها قبر الصحابي (التابعي) الجليل كميل بن زيـاد النخعـي، فقـد سلـم الإمـام ﷺ على أهل القبور بما نصه أو مؤداه.

السلام عليكم يا أهل لا إله إلا الله، من أهل لا إله إلا اللـه، أمـا الديـار فقد سكنت، وأما النساء فقد زوجت، وأما الأموال فقد قسمت، هذا خبر ما عندنا فما خبر مـا عندكـم. فقـال لـه أصحابـه: يـا أمير المؤمنـين أتكلـم قومـا بأرماس البلى؟ فقـال/ واللـه لقـد سـمعوا كلامـي، ولـو أذن لـهم بـالكلام أو الجواب لقالوا: إن خير الزاد التقوى.

وهذا كله مما يدل على نوع متكامل من الإدراك لمجريات الأمور، وسـماع الأقوال أو شيء منها في الأقل، وهذا هو المراد بالحيـاة فـي عـالم الـبرزخ فـي جزء مهم منه.

❁ ❁ ❁ ❁

٧- البرزخ يطل على عالم الآخرة

يطّلُ عالم البرزخ في نهايته على عالم الآخرة في أوله، وهذا ما يوحي به: قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[١].

فلو دققت النظر في إستعمال لفظ زرتم لظهر لك أن القرآن الكريم لم يستعمل الزيارة إلا في هذه الآية وإن استعمل مادتها في آيات أخر، وهذا الاستعمال يربطنا بدلالة حسيّة لا ينبئ عنها ظاهر اللفظ ومركزي المعنى، بقدر ما يصوّر اللفظ إيحائي المعنى الدقيق في دلالته على معنى المعنى، ويبدو أن إعرابياً مرهف الحس قد تنبه لهذا المعنى الشاخص حينما سمع الآية فقال:

(بعث القوم ورب الكعبة، فإن الزائر منصرف لا مقيم)[٢]، لقد وضع هذا الأعرابي يده على حس بلاغي عظيم، أدرك به فلسفة تخير هذا اللفظ دون سواه، بعيداً عن الفهم التقليدي والوعي المحدود في ترددات الناس بصورة الزيارة وفي كيفية مؤداها، فقد تأتي بمعنى الموت، وقد يعبر عن الموت بالزائر، وقد يراد غير هذا وذاك، وفي إيحاء باهر يضع القرآن له أصلاً مبتكراً في عالمي النقد الأدبي والبيان العربي.[٣]

تقول الدكتورة بنت الشاطي (ت ١٩٩٨م) في هذا الصدد ودلالته:

---

(١) سورة التكاثر / ١-٢ .

(٢) أبو حيان الأندلسي / البحر المحيط ٨/ ٥٠٧ .

(٣) ظ : محمد حسين علي الصغير / تطور البحث الدلالي / ٥٢ .

(وفي التعبير عن الموت بالزيارة ملحظ بياني بالغ القوة، فاستعمال الزيارة بهذا المعنى صريح الإيحاء بأن الإقامة بالقبر ليست إقامة دائمية، وإنما نحن فيها زائرون، وسوف تنتهي الزيارة حتماً إلى بعث وحساب وجزاء، وهذا الإيحاء ينفرد به لفظ زرتم دون غيره، فلا يمكن أن يؤديه لفظ آخر كأن يقول: (قبرتم) أو سكنتم المقابر أو (انتهيتم إليها) أو (أقمتم بها) إلى غير ذلك من ألفاظ تشترك كلها في الدلالة على ضجعة القبر، ولكن يعوزها سر التعبير الدال على أنها زيارة، أي إقامة مؤقتة يعقبها بعث ونشور)[1].

وهنا تبدأ علائم الإحياء، والبعث الجديد الهائل، قال تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ﴾[2].

وبهذا يظهر أن النفخ في الصور نفختان:

الأولى: للإماتة الشاملة إلا من شاء الله تعالى.

الثانية: للإحياء الأبدي والنشور، وكل قيام ينظرون.

وحينما يستأثر الموت بالكائنات كافة، يصدر نداء الجبروت والعزة والملكوت المطلق: **﴿لِمَنْ الْمُلك اليومَ للّهِ الواحد القَهّار﴾**[3].

وهما سؤال وجواب منه تعالى شأنه في آن واحد، إذ لا مجيب في ظل الصمت الرهيب للموت الشامل، فقد بقي الحي القيوم وحده، ثم أعيد البشر كل البشر والكائنات الأخرى من جن وشياطين ووحوش على ساحة أرض المحشر يوم القيامة.

---

(١) بنت الشاطي / التفسير البياني للقرآن الكريم / ٢٠٦ .

(٢) سورة الزمر / ٦٨ .

(٣) سورة غافر / ١١٦ .

أما القيامة ويومها ، والساعة وقيامها ، فذلك ما يحتاج إلى بحث موضوعي خاص ، ينهض بثقل ذلك اليوم العظيم ، وسبر ما فيه من مشاهد وظواهر وأحكام وجزاء ، عسى أن يوفقنا الله سبحانه وتعالى إلى خوض أبعاده في المستقبل القريب ، إن شاء الله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

النجف الأشرف

الدكتور محمد حسين علي الصغير.



قصيدة المؤلف في المبدأ والمعاد

في فلسفة النشأة والتكوين والحياة بعد الموت، وملكوت السماوات والأرض.

أكذا نَصيرُ إلى القبور ... مِنْ بَعد شاهقة القصور

نَتَوسدُ التربَ المهينَ ... إذَ الوسائدُ مَنَ حرير

والغايةُ القُصوى بأن ... نسعى إلى ذاك الحفير

ومغبةُ الأحياء لحدٌ ... قَدْ يشقُّ من الصخور

متعايشينَ مع الرَميم ... تعايشَ الطفل الغرير

ونلاعبُ الآثارَ من ... بعد القلائد في النحور

وكأنّنا بفنائها ... بينَ (الخورنَق) و(السدير)

والدُودُ يعبثُ في العيو ... ن .. وفي المحاسنِ والشعور

وتراكُمُ الرملِ المهيل ... علَى الجَنَاجنِ والصدور

وتقطعُ الأوصالَ ينبيء ... عن تباريحِ المصير

حتى يعود لأصلَه إلا ... نسان .. من طَين حقير

والموتُ إن يصب الفتى ... فإصابةُ الجمعِ الغَفير

وبه يُطلُّ على العوا ... لمِ خافيات في الدُثُورِ

والكلّ فيه قَدْ تَسا ... ووافي الورودشَ وفي الصدور

رقدوا إلى يوم الحساب ... ويوم يؤذن بالنشور

مِنْ ذلك القبرِ الصغير ... قيامةُ الحشرِ الكبير

◆◆◆

وَقَفَــتْ بقارعــة الطريــق أئمــةُ الفكْــرِ الجَسُــور
وتنافسـوا .. مـن يبـدأُ التنقيـبَ فَــي السِّــرِّ الخَطِــير
وإذا بجمعـــهُمُ حَيَــا رى فــي الحَديـث عَـن الجـذور
وَتَدرعَّـوا الصَمـت الرهَيـبَ لذلـكَ اللُغـزِ المُثِـير
وإذا جــهودُ البـــاحثينَ عــن اللُبــاب إلــى قُشُــور
وذوو العقــول النـــافذ ات .. يَـرَونَ فـي بَصـرٍ حَسِـير
فكــأن (أفلاطــونَ) فــي عليــاه والاسـم الشـهير
ســـارِ بظـــلٍّ مَفَـــازَة مــا بَــينَ أحــداجٍ وكُــور
وكـأن (سِـقرَطاً) و(رسـطَاليسَ) عـــادا كالأســـير
وكأنمــا (أعمـى المعـرة) بَــينَ حُــولان وعــور
وَ(رســالةُ الغفــران) فــي لــوحٍ مِــنَ الفَــهمِ الطَريـر
وتــرى (إبــن سـينا) تائـهاً فـي الفكـر .. مرتـاعَ الشعور
كَبَــتْ الفلاســفةُ الكبــارُ وضَــلّ رأيُ المســتنير
وَتَنــاهبتْ معنــى الحيــاة مغيّبــات فــي الســتورِ
وَطبيعــةُ الإنســان أنْ يمسـي .. ويصبـحَ فـي غُـرور
ونهايــةُ المُتشــككينَ مــن الحقــائق .. فـي ثُبـور
غــابوا عــن الوعـيِ الصحيـح وَلَــمْ يُعــدّوا فــي الحضُــور

◆◆◆

كَــمْ عــادَ مــنْ مُــتَرَهب فــي حَسـرة العَـيِّ الحَصُـور
لا يســتطيعُ الجــهرَ فــي مــا يَعتريــهَ مــن القُصــور
يُخفــي .. ويُبــدي غــيرَ مــا يخفيــه مــا بــينَ السطور
وكأنَّــهُ فــي حالــة بــين التخفّــي والسُــفُور

وَلـو إرعـوى . . وآفـاءَ للظـل		الظليـل عـن الـهَجير
لبـدا لـه مـا كـان فـي الـ		أوهـام مـن إفـك وزور
فحقيقـةُ الإبـداع والتكـو		يـن مـنْ صُنـع المُديـر
رب السـماوات المصـو		ن عـن التجلّـي والظـهور
البـارئ الأجيـال تصـدو		يـراً مـن الخلـق النَضيـر
الواهـب البسـمات جـذ		لـى يَنطَبعـنْ علـى الثُغـور
والمسـتدرّ الدمـعَ فـي		البلـوى . . وفـي الحدث العسير
ومقلـبٌ الأحيـاء بـينَ		العيـش والمـوت المُبيـر
وبـه يَغُـذّ الخلقـض مـن		مليونـش عـام فـي المسير
فيـه اكتـوى العبـدُ الـذ		ليـلُ . . وذاقـهُ ربُ السـرير
لَـم يـدركْ المـاضي ولا		الآتـي . . متاهـات العصـور
خُـطّ الفنـاءُ . . فـلا بقـىَ		إلآك يـا وجـهَ القديـر

◆◆◆

أنـتَ اللطيـفُ بمـنْ خَلَقـتَ		بعـزّة الـربِّ الغَفُـور
تَـاهَتْ عُقـولٌ حَقَقَـتْ		فَـي كُنْـه ذَاتـك والحضُـور
وَطَغـى عَلَيـها المُـوج		هَـدّاراً . . فَضَـاعَتْ في الـهدير
وَمَشـى بـها الأعيـاء		يَمْنَحُـها النَكـيرَ مـن الضميـر
لا تَسْـخرنّ بقـائل :		للّـه عاقبـةُ الأمُـور
وإذا سَـألْتَ عَـنْ المصـير		فَقَـدْ سَـقَطْتَ عَلَـى الخَبيـر
لا بُـدَّ مـنْ يـوم بـه		يَطْغـى النذيـرُ عَلَـى البَشـير
تُغنـي مرارَتـه عـن التفكـير		فـي مَـدِّ الجسـور
وتَعَطّلـت كـلُّ القـوى		وَجَثَـا الجميـعُ علـى شَـفير

وَعرائـــسُ الأحـــلامِ قَـــدْ طـــارتْ هَبـــاءً فـــي الأثـــير
والأُمنيـــــاتُ تَبَخَـــرَتْ كالمـــاءِ يَغْلـــي فـــي القُـــدور
والعـــزَّةُ القَعْسَــــاءُ أهْـــوَ نُ مـــنَ عقـــال فـــي بَعـــير
والمـــالُ موفـــورَ الـــثرا ء .. أذلُّ مَـــنْ شَـــروى نَقـــير
والفاتنـــاتُ مـــن الغـــوا نـــي قَـــدْ بَـــرزْنَ مـــنْ الخَـــدور
والســـادرُونَ مَـــعَ الغـــوا يـــة أدْركُـــوا عُقبَـــى الشُـــرور
يَتطَلّعُـــونَ لذلـــك اليَـــوم العَبُـــوس القَمْطَريـــر
والنـــاس .. إمّـــا للجنـــا نِ بـــه .. وإمّـــا للسَـــعير

◆◆◆

للّـــه دَرُّ العـــاملين مـــن الإنـــاث أو الذُكـــور
مَـــنْ كـــلِّ مَـــنْ طـــا بَـــتْ سَـــريرتُهُ .. وَوَفّـــى بـــالنُّذُور
مَـــن رائـــدي دارُ المقُـــا مَـــة والكَرامَـــة والحبـــور
جَنّـــات عَـــدْنٍ تَزدهـــي فيـــها أكـــاليلُ الزُهـــور
مـــنْ تَحتَـــها الأنـــهارُ بـــالأ لبـــان تَجْـــري والخُمـــور
ورَوافـــدُ العَسَـــل المصفّـــى ديَـــفَ بالمـــاء الطَـــهور
وكَوَاعـــبٌ أترابُـــها مـــا بـــينَ وِلْـــدان وحَـــور
مَـــا تشـــتهي فيـــها النفـــو سُ .. وترتئـــي عـــينُ القريـــر
والعفـــو والرضـــوانُ يصحبـــهمْ بأنْفـــاس العَبـــير
أولاء ســـر الكَـــون فـــي الأخْبـــات مُنقطَـــع النَظـــير
بَـــاعوا قليـــلاً فانيـــاً بالبَاقيـــات مـــنَ الكَثـــير
العَـــارفين مـــنَ الحَيـــا ة .. صـــروفُ غائلـــة الدهـــور
والواهبـــينَ نفوســـهَمْ بالغاليـــات مـــن المَـــهور
والســـائرينَ بركـــبِ أهْـــلِ البَيـــتِ والنَـــهجِ المُنـــيرِ

وَالحــــاملينَ رســــالةَ التَبليـــــغ فـــــي العُمْـــــر القَصـــــيرَ
الليـــــل للصلَـــــوات والعلْــــم المَــــدوي فـــــي الصـــــدورَ
والصبْــــــحُ للعَمَـــــل المُتــــوّج بالتَفَقُــــه كـــــالصقُورَ
شَــــخَصُوا ســـراجاً يُســـتَضاء بـــه . . ومشــــكاةً لنُــــور
وَبهديـــهمْ قَـــدْ يُســـتعا ضُ عَـــنْ الكَواكـــب والبُـــدور
قَـــدَ عَبَـــدّوا سُـــنَنَ الطَـــر يـــق . . وَذَلَلـــوا سُـــبُلَ العبـــور

◆◆◆

كَـــمْ زاهـــد طَـــام يَكَـــا دُ يَغـــصُ بالمـــاء النَمـــير[1]
رَثّ الثيـــابِ غليظـــها وســـواهُ يَرفُـــلَ بـــالحُرير
فـــي خربَـــة يقضـــي الحيـــا ةَ . . فليـسَ مـنْ أهَـلِ القُصُـور
وأثاثُـــه فيـــها التَـــوا ضـعُ بـين كُـوز أو حَصـير
مَـــا كَـــانَ مبطانَـــاً . . ولا استلقى عَلَـى الفـرشِ الوثـير
يَكْفيــه مــنْ هــذا التَنَعــمّ قــرصُ خُــبزٍ مــنْ شَــعير
وَيعيـــش يَقْنَـــعُ بالبســـيط مـــنْ المَرافـــق واليَســـير
وكَأنّـــه المَلـــك المَتَـــوَّ جَ بَـــينَ أشْـــذاءَ العُطُـــور
أيامُـــهُ المُثلَـــى البَـــد يَـــلُ عَـــنْ النَصـــيرَ أو الســـمير
مَـــا إحتـــاج قَـــطُّ إلَـــى الـــتَزَلّف وَالتَقَلّـــب فـــي الحجـــور
يُمســـي وَيُصبـــحْ طَيّـــبَ الأردان فـــي أرَج البُخـــور
أرضـــى الضمـــيرَ إنابـــةً فـــأراحَ مـــنْ وَخْـــز الضَمـــير
ورأى (الجيـــادَ) مُغـــذّةً فـــي المُضْنَيـــات مـــنَ الوُعـــور
ورأى (الرجـــالَ) وَراءَهـــا تَجـــري بقاصمَـــة الظُـــهور
لا تَسْـــتَريحُ مـــنْ الـــروا حِ أو البُكُـــورِ إلَـــى (الأمـــيرَ)

(١) لعل الشاعر يشير بذلك إلى سيرته السياسية، وزهده في حطام الدنيا ومناصبها .

فَأَمـــاطَ عَنْـــهُ الأمنيــا ت .. وَعــادَ كالشَــبَحِ الغَيــورِ

وَاللّـــه مـــا ادّخَـــرَ الغنَـــى إلاَّ إلـــى العَبْـــدِ الشَـــكُورَ

يُجْـــزَى جَـــزاءَ المُحسـَــنينَ وَيُجتبَـــى أجْـــرَ الصبُـــورِ

النجف الأشرف **الدكتور محمد حسين علي الصغير**

خاتمة المطاف

في نهاية هذه المسيرة المتموجة بتراث القرآن العظيم، في الإمكان إلقاء الضوء الكاشف على أبرز ما توصلنا إليه في البحث تلميحاً:

١- إرساء مصطلح الذر ومصطلح البرزخ على أرضية صلبة ميزت بين اللغة والفن في بيان الاصطلاح، والذهاب إلى أن المعنى المصطلحي للذر والبرزخ قد انحدر عن الأصل اللغوي لهما بعد الفصل والإيضاح.

٢- أفرز البحث في عرض موضوعي للقرآن: اللمسات التركيبية للإنسان في الولادة والنشأة والاستقرار النهائي بما اشتمل عليه القرآن من إشارات موحية بذلك بلغت الذروة في المحتوى الفكري وأعلى مراتب الوجود الحضاري حتى نهاية الإنسان بالموت.

٣- أثبت البحث أن مسيرة القرآن الحضارية والتحررية لا تعارض العلم والاكتشاف القائم على الأساس المختبري والعلم التجريبي، إلا أنه كتاب هداية ودولة وتشريع في الغرض التكويني.

٤- أنجز البحث عوالم الذر في حياة الكائن البشري من خلال ثلاثة محاور في الخلق والإحياء شملت: الوجود الجمعي الشبحي السابق للإنسان، والخلق الأول في عالمي الأشباح والأرواح، وكيفية الإخراج مقترناً بالإشهاد الإنساني على توحيد الله تعالى وربوبيته.

٥- تناولت الأطروحة مراحل التعليم الإنساني متدرجة ابتداءً من تعليم

آدم الأسماء فيما يتجانس مع ضرورة خلق الإنسان، وما يترتب عليه من حياة طبقة متكاملة في الإيجاد، وهي العلة الأولى في الخلق وإشاعة الحياة في الموجودات، وأكدت التعليم الأولي حتى التعليم اللّدني من قبل الله تعالى موهبة لا كسباً، وعرضت لظاهرة مواراة الإنسان في التراب لا حرقاً ولا إبادة، وعرّجت على تعليم إدريس الكتابة، ونوح النجارة، وإبراهيم أسس الهندسة المعمارية وأصول البناء، وأبرزت قوة ذي القرنين في حضارة إقامة السدود بتسديد إلهي، وأوردت إلانة الحديد لداود وصناعة الدروع، وأشارت إلى تسخير الجن لسليمان، وتحدثت بإيجاز عن العالم الذي صحبه موسى، وإفاضة العلم اللدني الموهبي .

٦- تمثلت الرسالة (قصة الموت) في عرض جديد باعتبار الموت خلقاً جديداً، وحددت فلسفته ببلاغة أمير المؤمنين المعهودة وهو يصوره تصويراً فريداً لا مثيل له، وأوردت حديثه في روائع الشعر العربي الأصيل نموذجاً، وأبانت وسائل الموت واختلاف حالاته، وكشفت عن الموت الجماعي وعذاب الاستئصال في مشاهد حيّة لأمم سبقت، وشعوب سادت ثم بادت، كان منها: قوم نوح وعاد وثمود ولوط وشعيب وفرعون وآل فرعون، وأصحاب الفيل، واستثناء أمة محمد (ص) من عذاب الاستئصال .

٧- وتحدث الفصل السادس من الرسالة عن (حياة البرزخ) في أبعاد شمولية لهذا المفهوم القرآني ضمن سبعة محاور مهمة، فيها من الوضوح واليسر ما يسهل للمتلقي استيعاب حياة الغيب السرمدي من خلال البداية الأولى للبرزخ بانتهاء الأجل، وتقلب الإنسان في التكوين طوراً بعد طور من ظلمات الأرحام حتى ظلمات القبور، وعوالم القبر البرزخية في السؤال والإجابة والاستماع في مناخ مثالي مجرد عن المادة، وشمل البحث عالم

الحَفَظَة من الملائكة الأبرار، والبعد في الإماتة والإحياء، وإلقاء المزيد من الصور النابضة المقرّبة لمشاهد البرزخ، يضاف إلى ذلك كله: باقة صالحة من الاستدلال الموضوعي عليه، وطائفة من الأحكام التي تقترن بحياة البرزخ، وكون البرزخ يطلّ في حياته القائمة على عالم الآخرة بحيث تكون نهايته بنفخ الصور بداية لذلك اليوم العظيم يوم القيامة .

٨- وجاءت قصيدة المؤلف في المبدأ والمعاد مؤكدة ما مرّ في الكتاب من مباحث عديدة ومتنوعة، وقد ركّزت القول على حياة الإنسان في النشأة والتكوين حتى المغادرة بالموت، وعرضت لشيء من حياة البرزخ وعاقبة الإنسان في الجزاء، وعبّرت عن حيرة الفلاسفة والمفكرين في شأن ذلك، وأوضحت سبيل الخلاص في البر والتقوى وحبّ الخير وعدم الاعتداء طريقاً للنجاة من المخاطر والأوزار والمكاره، ونوّرت المعالم تجاه السلوك الأبدي المفروض لاستقبال يوم القيامة .

هذه شذرات مكثفة من نتائج البحث الذي أرجو أن يكون لنا وازعاً ورادعاً من التدهور الأخلاقي، وأن يعصمنا الله تعالى ببركته من التسيّب والضياع والإنحطاط، وأن نعي بعد طول السبات من الغفلة والتغاضي والإغماض، عسى أن ينفعنا هذا العمل يوم الدين:

(يوم يقوم الناس لربّ العالمين) .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله والطاهرين وأصحابه المنتجبين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

النجف الأشرف **الدكتور محمد حسين علي الصغير**

المصادر والمراجع

خير ما نبدأ به القرآن الكريم .

١- ابن الأثير / علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ)

الكامل في التأريخ / دار الكتاب العربي : الطبعة الثانية / بيروت/ ١٩٦٧م .

٢- الإمام الخوئي/ السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣هـ) .

البيان في تفسير القرآن / مطبعة الآداب/ النجف الأشرف/ ١٣٧٣هـ .

٣- أحمد شوقي (أمير الشعراء) (ت١٩٣٦م)

الشوقيات / مطابع دار الكتاب العربي / بيروت / د . ت .

٤- البحراني / هاشم الحسيني البحراني (ت١١٠٧هـ)

البرهان في تفسير القرآن / المطبعة العلمية / النجف الأشرف / ١٣٩٣هـ .

٥- البرقي / أبو عبد الله / محمد بن خالد (ت٢٧٤-٢٨٠هـ)

كتاب المحاسن / تحقيق المحدث الأرموي / طهران / ١٣٧٠ هـ .

٦- بنت الشاطئ / الدكتورة عائشة عبد الرحمن (١٩٩٨م)

التفسير البياني للقرآن الكريم / دار المعارف بمصر / القاهرة / ١٩٦٨م .

٧- الترمذي / محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ)

سنن الترمذي _ الجامع الصحيح / نشر المكتبة الإسلامية / القاهرة/ د . ت .

٨- ابن أبي الحديد / أبو حامد/ عز الدين/ عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت٦٥٦هـ) / شرح نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام / تحقيق :

محمد أبي الفضل إبراهيم / دار إحياء الكتب العربية/ القاهرة / ١٩٥٩م .

٩- الحر العاملي / محمد بن الحسين (ت١١٠٤هـ)
وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة / دار إحياء التراث / بيروت/ د.ت .

١٠- ابن حنبل / أحمد ابن حنبل (ت٢٤١هـ)
مسند أحمد/ دار صادر/ بيروت / د.ت .

١١- أبو حيّان / أثير الدين/ محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٥٤هـ) / البحر المحيط / مطبعة السعادة / القاهرة / ١٣٢٨هـ .

١٢- الراغب / الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني (ت٥٠٢هـ)
المفردات في غريب القرآن
تحقيق : محمد سعيد كيلاني / مطبعة مصطفى البابي الحلبي / القاهرة/ ١٩٦١م .

١٣- السيوطي / جلال الدين : عبد الرحمن بن أبي بكر / (ت٩١١هـ)
الدر المنثور في التفسير بالمأثور / المكتبة الإسلامية / طهران / ١٣٧٧هـ .

١٤- ابن شهر آشوب/ أبو جعفر/ رشيد الدين/ محمد بن علي السروي (ت٥٨٨هـ) المناقب : مناقب آل أبي طالب
دار الأضواء للحاج جعفر الدجيلي / بيروت/ د.ت .

١٥- الصدوق : الشيخ الصدوق / محمد بن علي بن الحسين (ت٣٨١هـ) ثواب الأعمال / طبع مكتبة الصدوق / طهران : د.ت .

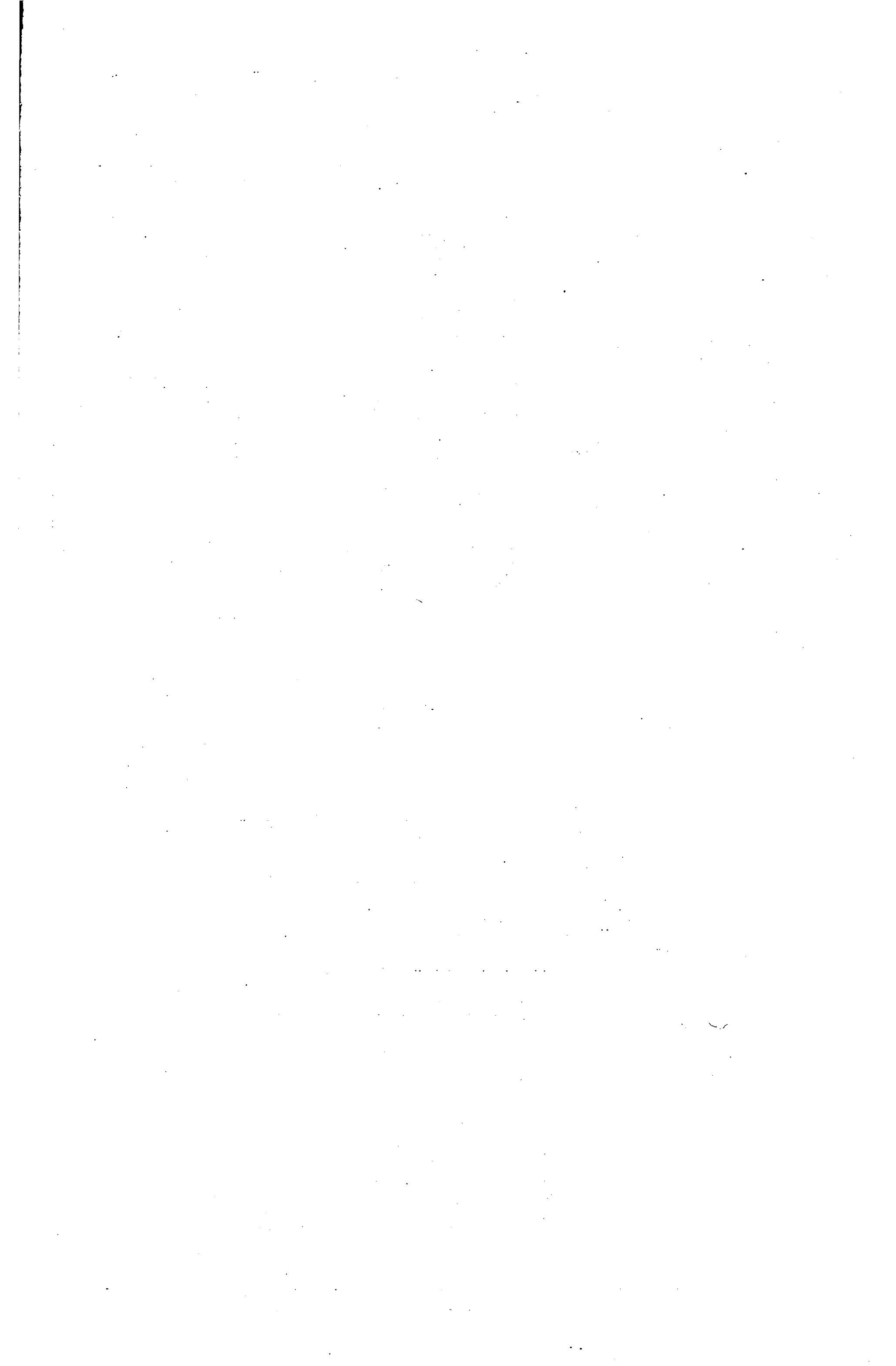
١٦- الطبرسي / أبو علي/ الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)
مجمع البيان في تفسير القرآن / مطبعة العرفان / صيدا/ ١٣٣٣هـ.

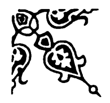
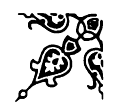
١٧- الطوسي : شيخ الطائفة / أبو جعفر/ محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)
أمالي الطوسي / مؤسسة الوفاء للطباعة / بيروت/ ١٤٠١هـ .

١٨- الطوسي (نفسه فيما سبق) / التبيان في علوم القرآن
تحقيق : أحمد حبيب القصير وأحمد شوقي الأمين / مطبعة النجف/ النجف الأشرف/ ١٩٥٥م .
١٩- علي الحسيني السيستاني (المرجع الديني المعاصر)
منهاج الصالحين/ الطبعة الأولى/ دار المؤرخ العربي/ بيروت/ ١٣١٤هـ .
٢٠- العياشي/ أبو النضر/ محمد بن مسعود بن عياش السلمي (ت٣٢٠هـ) / تفسير العياشي
تحقيق : هاشم الرسولي المحلاتي/ المكتبة العلمية الإسلامية / ١٣٧١هـ .
٢١- القمي الأشعري/ أبو الحسن/ علي بن إبراهيم الأشعري الكوفي (من علماء القرن الرابع) تفسير القمي
تحقيق السيد طيب الموسوي الجزائري / مطبعة النجف/ النجف الأشرف : ١٣٨٦هـ .
٢٢- كاشف الغطاء / شيخ الفقهاء / الشيخ جعفر بن خضر الجناجي (ت١٢٢٨) (١٢٨هـ) منهج الرشاد
طبع النجف الأشرف / ٢٠٠٠م / تحقيق : الدكتور الشيخ عباس كاشف الغطاء .
٢٣- الكليني / أبو جعفر/ محمد بن يعقوب الرازي البغدادي (ت٣٢٩هـ)
أصول الكافي / دار الكتب الإسلامية / طهران/ ١٣٨٣هـ.
٢٤- الكليني (نفسه فيما سبق) الفروع من الكافي / تحقيق :
علي أكبر الغفاري ونجم الدين الآملي/ المطبعة الإسلامية/ ١٣٨٨هـ .
٢٥- محمد مهدي الجواهري / شاعر العرب الأكبر/ (ت١٩٩٧م)
ديوان الجواهري / تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور علي جواد

الطاهر وجماعتهما / منشورات وزارة الإعلام/ مطبعة الأديب/ بغداد/ ١٩٧٤م .
٢٦- المتقي الهندي/ علاء الدين / علي بن حسام الدين (ت٩٧٥هـ)
كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ١٤٠٥هـ .
٢٧- المجلسي/ محمد باقر بن محمد تقي (ت١١١١هـ)
بحار الأنوار/ دار الكتب الإسلامية / النجف الأشرف : ١٣٧٦هـ .
٢٨- محسن الطباطبائي الحكيم / المرجع الديني الأعلى الراحل/ (ت١٣٩٠هـ) مستمسك العروة الوثقى
الطبعة الثالثة/ مطبعة النجف/ النجف الأشرف / ١٣٨٤هـ .
٢٩- محمد حسين الطباطبائي/ أبرز علماء التفسير في القرن العشرين/ الميزان في تفسير القرآن
الطبعة الثالثة/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت/ ١٣٩٣هـ .
٣٠- محمد حسين علي الصغير (المؤلف)
البعد العالمي في القرآن / دار المؤرخ العربي / بيروت/ ٢٠٠٠م .
٣١- محمد حسين علي الصغير / تطور البحث الدلالي
دراسة تطبيقية في القرآن الكريم/ الطبعة الثانية/ دار المؤرخ العربي / بيروت/ ٢٠٠٠م .
٣٢- محمد حسين علي الصغير
ديوانه الشعري المخطوط/ موجود في حوزة المؤلف .
٣٣- محمد حسين علي الصغير
مسيرة الكائن الإنساني ورسالات السماء/ دار المؤرخ العربي /

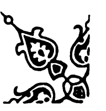
بيروت/ ٢٠٠٠م .
٣٤- محمد حسين علي الصغير
ملامح الإعجاز في القرآن العظيم (بحث علمي) مؤتمر إعجاز القرآن في بغداد والنجف / ١٤١٠م + المؤرخ العربي/ ٢٠٠٠م .
٣٥- محمد كاظم اليزدي (ت١٣٣٧هـ) .
العروة الوثقى / تعليق الإمام الخوئي / مطبعة النعمان/ النجف الأشرف/ ١٤٠٠هـ .
٣٦- ابن منظور/ جمال الدين/ محمد بن مكرم الأنصاري (ت٧١١هـ)
لسان العرب / طبعة مصورة عن طبعة بولاق/ القاهرة/ د.ت .

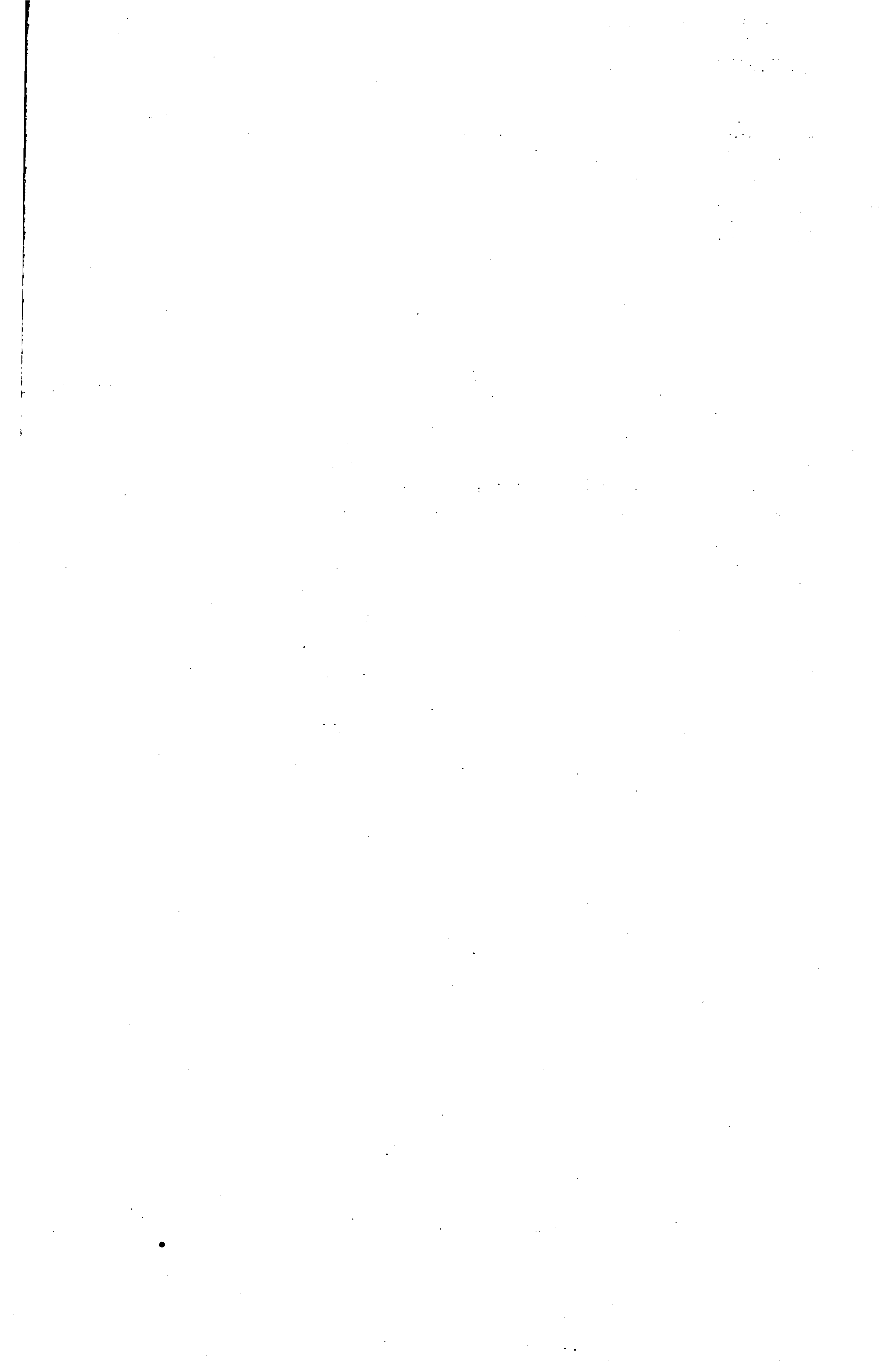


(الفهارس العامة)

١- فهرست الآيات بحسب ورودها في الكتاب.
٢- فهرست الأعلام.
٣- فهرست الأجناس والأمم والأجيال.
٤- فهرست المواضيع



فهرس الآيات بحسب ورودها في الكتاب

أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فيها جَميعاً قالَتْ أُخْراهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلكِنْ لا تَعْلَمُونَ

فَأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ ❖ فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ ٩٠

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ المَوْتِ فَقالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْياهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ٩١

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها قالَ أَنَّى يُحْيِي هذهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَشَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلى حِمارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى العِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٩١

أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ ٩٤

فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ ❖ وَفَجَّرْنا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ٩٤

وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالجِبالِ ٩٥

فَأَنْجَيْناهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الفُلْكِ المَشْحُونِ ❖ ثُمَّ أَغْرَقْنا بَعْدُ الباقِينَ ٩٥

وَقِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الماءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٩٥

وَلَقَدْ نادانا نُوحٌ فَلَنِعْمَ المُجِيبُونَ ❖ وَنَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ ❖ وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقِينَ ❖ وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ❖ سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِي العالَمِينَ ❖ إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ ❖ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا المُؤْمِنِينَ ٩٦

وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عاداً الأُولى❖وَثَمُودَ فَما أَبْقى ٩٦

كَذَّبَتْ عادٌ فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ ❖ إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ❖ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ٩٧

وَأَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ ❖ سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى القَوْمَ فِيها صَرْعى كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ ❖ فَهَلْ تَرى لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ ٩٧

فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا صالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ ❖ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ ٩٧

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمى عَلَى الهُدى فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ العَذابِ الهُونِ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ ٩٨

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ العالَمِينَ ٩٨

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ

فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِم حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴿ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَما هِيَ مِنَ الظّالِمِينَ بِبَعِيدٍ — ٩٨

كَذَّبَ أَصْحابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿ إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَ لا تَتَّقُونَ ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ ﴿ وَما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعالَمِينَ ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿ — ٩٩

وَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ ﴿ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ — ٩٩

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كانُوا هُمُ الْخاسِرِينَ — ٩٩

فَأَغْرَقْناهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَفَروا بِآياتِنا وَكانُوا عَنْها غافِلِينَ — ١٠٠

فَأَسْرِ بِعِبادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ ﴿ وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ ﴿ كَذلِكَ وَأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ — ١٠٠

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الفِيلِ ﴿ أَ لَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مأْكُولٍ — ١٠٠

وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ — ١٠١

حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ — ١٠٥

وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ — ١٠٦

بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ — ١٠٦

وَكانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً — ١٠٦

يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الآخِرَةِ — ١٠٨

وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ — ١١٢

وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً — ١١٥

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ ﴿ كِراماً كاتِبِينَ ﴿ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ — ١٢٠

إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ — ١٢٠

قالُوا رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إِلى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ — ١٢١

قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ — ١٢٤

فهرست الأعلام

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)



فهرست الأجناس والأمم والأجيال

فهرست الموضوعات